مسجد قرطبة الكبيرما بين الأسلمة والتنصير
(مسجد – كاتدرائية قرطبة)
The Great Mosque of Cordoba between Islamization and Christianization
Mosque-Cathedral of Córdoba

رحاب محمد عطية بنداري[1]
rehabmohamedattia@gmail.com

الملخص:

يعد مسجد قرطبة الجامع أشهر معالم التراث الإسلامى فى أوروبا ، بل أروع الآثار الإسلامية الباقية على الإطلاق وأكبر شاهد على الحضارة الإسلامية فى الأندلس .وهو مدرج على قائمة مواقع التراث العالمي لمنظمة (يونيسكو) منذ عام1984م.كما تصدر قائمة كنوز إسبانيا الاثني عشر عام 2007م .كان لقرون طويلة اعظم مركز للعلم في اوروبا ومن خلاله انتقلت العلوم العربية إلى الدول الاوربية على مدى قرون .فقد كان جامع وجامعة وكان يدرس فى جامعة قرطبة كل العلوم. وكان له عدة مسميات كالمسجد الجامع ،الجامع الأعظم والجامع المبارك والجامع المكرم.لكن بعد سقوط قرطبة عام633هـ / 1236م حوله الإسبان لكاتدرائية كاثوليكية . فتعرض المسجد للتشويه حيث تم هدم جزء كبير منه وأزيلت الكثير من معالمه كمسجد لأقامه كاتدرائية في قلب الجامع .والجامع الآن كاتدرائية كاثوليكية تسمى بكاتدرائية سيدة الانتقال ،مقر مطران أبرشية قرطبة .ورغم ذلك ما زال يعرف بين سكان قرطبة باسم

1.باحث دكتوراه– كلية السياحة والفنادق– جامعة قناة السويس،الإسماعيلية

المسجد الكبير في قرطبة أو مـِسكيتا وكلمة مـِسكيتا (بالأسبانية: **Mezquita**) تعني مسجد باللغة الإسبانية. يهدف هذا البحث إلى التعريف بتاريخ هذا البناء العظيم الشاهد على حضارة.واتبع البحث المنهج التاريخي الوصفى حيث مر المسجد بالعديد من التوسعات والإضافات المعمارية والفنية وتناول البحث تاريخ انشاء المسجد ووصفا معماريا وزخرفيا له ،كما تناول مراحل الزيادات الهامة للمسجد وما تم به من تغيير بعد تحويله لكاتدرائية.

الكلمات المفتاحية: مسجد– كاتدرائية– قرطبة

المقدمة:

لقي مسجد قرطبة الجامع من اهتمام أمراء الأندلس وخلفائها ما لم يلقه غيره من مساجد الدنيا، اللهم إلا الحرمين الشريفين .واشتهرت مدينة قرطبة بمسجدها الجامع ،كما ذكر الإدريسي وفيها الجامع الذي ليس له بمساجد المسلمين مثيل، بنية، وتنسيقا، وطولا وعرضا. وقد كتب عنه المؤرخون، ونعته الواصفون بما لم يكتب وينعت به مسجداً آخر في الدنيا. وقد تم بناء مسجد قرطبة مسجد خلال قرنين ونصف قرن على وجه التقريب. إلى أن أصبح قمة من قمم الفن المعماري العالمي على مر العصور .كما كان لقرون طويلة أعظم مركز للعلم في أوروبا، ينافس الأزهر والقيروان. وتخرج منه ثلة من أكابر علماء هذه الأمة كابن حزم والقرطبي وابن عبد البر.ابن الهيثم الذى أخترع نظرية الكاميرات و عباس أبن فرناس أول من حاول الطيران و

أطباء و علماء كثيرون أخرجوا أوروبا من عصور الظلام إلى العلم و المعرفة.

مدينة قرطبة ومسجدها الجامع

تقع مدينة قرطبة فى إسبانيا على سفوح الجبال المتفرعة من سلسلة جبال (سييرا مورينا)التى تمتد شمالى المدينة ،وتحاذى قرطبة الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير .

قرطبة مدينة ايبرية توالى على حكمها دول مختلفة على مر تاريخها،ففى عام 169ق.م اتخذها الرومان عاصمة لاسبانيا السفلى ، حيث تناولتها العمارة الرومانية كما احيطت بالاسوار المنيعة وازدحمت بالسكان خاصة الاسرات النبيلة الرومانية ثم تمكن قائد الامبراطور يوليوس قيصر من الاستيلاء على قرطبة عام 45م، حيث قسمت اسبانيا السفلى الى إقليمين ،لوزيتانية وباطقة،وكانت قرطبة عاصمة لإقليم باطقة،وبعد فترة قصيرة أصبحت هذه العاصمة أحد المراكز القضائية في اسبانيا الجنوبية ،اما الثلاثة الأخرى فكانت في أستجة وإشبيلية وقادس.[1]

وحدث ان غزا الفندال شبه جزيرة أيبيريا عام 409م، واستولى الفندال على إقليم باطقة وإشبيلية، واتخذوا من هذه الأخيرة عاصمة للإقليم،اما قرطبة فقد ظلت تحت سيطرة البيزنطيين،حيث تمكن ملك القوط الغربى "ليوفخلدو" من امتلاكها عام 568م،ومن ذلك الحين تنتقل قرطبة إلى منطقة الظل،وتفقد قوة مركزها بالنسبة إلى طليطلة التى فاقتها منذ أواخر القرن السابع الميلادى.

[1] محمد كمال شبانة، الاسلام فكرا وحضارة،ص309

واقبل الفتح الإسلامى إلى الأندلس ،وتم الاستيلاء على قرطبة دون مقاومة تذكر؛إذ تذكرالرواية العربية أن طارق بن زياد بعث قائده مغيث الرومى إلى قرطبة على رأس سبعمائة فارس، فوصلوا المدينة تحت جنح الظلام، حيث كان حراس أسوارها في غفلة عنها، فتمكن جنود مغيث من تسلق الممر الخاص بالسور وقفزوا إلى داخل المدينة، وباغتوا حراس بابها الجنوبى ،فقضوا على من تعرض منهم لهم، وفتحوا الباب الرئيسى من الاسوار، فتدفقت إليها الجيوش الإسلامية، وصارت قرطبة بعد هذا الفتح عاصمة لاسبانيا الإسلامية ،حيث أخذت تستعيد ماضى مجدها شيئا فشيئا ،ووطد بها ولاة الاندلس سلطانهم منذ عصر الوالى أيوب بن حبيب حتى نهاية الحكم الاموى.

يبدو أن السمح بن مالك الخولانى_ الذى كان واليا على الأندلس عام 100هـ/719م اخذ على عاتقه أن يرتفع بقرطبة إلى مصاف الحواضر الكبرى، فبدأ بترميم السور المحيط بالمدينة، حيث كانت قد تهدمت اجزاء منه ، واستعمل الاحجارالضخمة التى تخلفت عن الأجزاء المتهدمة من السور الرومانى بعد ترميمه في إعادة بناء قنطرة قرطبة، وهى التى كانت تعد من اعظم وأعجب الاثار الأندلسية، وتربط هذه القنطرة مدينة قرطبة (الجزء المغمور منها) وبين ربضها– وهو ضاحيتها – الواقع جنوبى قرطبة على الضفة اليسرى لنهر الوادى الكبير، وهو الربض الذى يطلق عليه "شقنده" ولاتزال هذه القنطرة باقية حتى عصرنا الحاضر.[1] (لوحة رقم)

ولقد اخذت قرطبة وضعها التاريخى كعاصمة كبرى عندما اتخذها الامير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) حاضرة له فقد اضحت مركزا ثقافيا اسلاميا له

[1] محمد كمال شبانة،الاسلام فكرا وحضارة،ص309

مكانته التاريخية الشهيرة بما اشتملت عليه من اسباب الحضارة السامية.وياتى عصر عبد الرحمن الناصر(350-300هـ/912-961م) ثم ابنه الحكم المستنصر (366-350هـ/861-976م) لتبلغ قرطبة في عهدهما أوج حضارتها.

واعتنى عبد الرحمن الداخل بمدينة قرطبة فحصنها وزينها بالمنشآت الفخمة والرياض اليانعة،فأنشأ فى شمال قرطبة قصراً فخما تحيط به حدائق زاهرة, وجلب إليها مختلف الغروس والبذور والنوى من الشام وإفريقية, وسمى تلك الضاحية بالرصافة تخليداً لذكرى الرصافة التى أنشاها جده هشام بالشام,[1] فيروى المؤرخون ان عبد الرحمن كان وفيا لذكريات صباه، فاراد أن يرى فى ملكه الجديد ما يكون فيه سلوى وانسا ,فأمر بأن تغرس فى هذا المتنزه نخلة أحضرت من البادية، فكان يردد وهو جالس يتفيأ ظلها هذه الأبيات:

وطول ابتعادى عن بنى وعن أهلى

نشأت بأرض أنت فيه غريبة

فمثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلى

سقتك غوادى المزن من صوبها الذى

---

[1] ابن الأثير, الكامل فى التاريخ,جـ5,ص84

وأصبحت منية الرصافة بعد سقوط قرطبة فى أيدى القشتاليين مقرا للآباء الفرنسسكان, وقد تبقى منها اليوم بعض آثار جدران وقاعات,وفى جوف هذه الاطلال باب يؤدى الى طريق فى باطن الأرض يقال انه كان يصل بين قرطبة والرصافة,وأن هذا الطريق كان يرتاده الامير عبد الرحمن متى شاء لنفسه الراحة بعيدا عن انظار رعيته .

السيد عبد العزيز سالم,قرطبة حاضرة الخلافة,ص52

يسح ويستمرى السماكين بالوبل[1]

وظلت الرصافة منتدى الادباء وملتقى الشعراء, يتبادلون فيها الاشعار,وفى سنة 150هـ/767م بدأ عبد الرحمن بإنشاء سور قرطبة الكبير, واستمر العمل فيه مدى أعوام.[2] وأنشأ عبد الرحمن فى قرطبة وباقى المدن الأندلس مساجد محلية عديدة. وبدأ فى أواخر أيامه 170هـ/786م بإنشاء المسجد الأموى الجامع بقرطبة[3].

ولقد بلغت قرطبة مبلغاً عظيماً أيام حكم المسلمين، فقد بلغت دورها ثلاثين الف ذراع فى حين أن مساجدها بلغت ألفا وستمائة مسجد ،وأما حماماتها فقد وصلت إلى تسعمائة حمام. ومنازلها بلغت فى عصر الخلافة مائتى ألف منزل سكنها مليون نسمة.[4] وكانت شوارعها تضاء بعد غروب الشمس بمصابيح عامة مما سهل لأهلها السير فى شوارعها بعد المغيب.[5]

وذكر ابن حوقل ان إنشاء الحمامات والخانات والقصور والمنتزهات والاسواق ازدهرت فى الأندلس ازدهارا فى عهد عبد الرحمن الثالث الناصر(300-350هـ/912-961م) حيث اصبحت اكبر مدينة فى الغرب بما فى ذلك أوروبا .فعدا مساكن الوزراء والموظفين كانت تحتوى قرطبة على نحو

---

[1] جودة هلال ومحمد محمود صبح،قرطبة فى التاريخ الإسلامى،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986,ص51

[2] ابن خلدون ,جـ4,ص123

[3] محمد عبد الله عنان, دولة الإسلام في الأندلس,جـ1,ص200

[4] عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية،ط2, مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ص50

[5] محمد عبده حتاملة، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،ص1080

113000مسكن وستمائة حمام وخمسين مستشفى وثمانين مدرسة عامة وسبعة عشر معهدا تربويا وعشرون مكتبة عامة, تحتوى على مئات الكتب، فى عصر لم يكن فى أوربا مدينة ،عدا القسطنطينية ،كانت تتسع لأكثر من ثلاثين ألف مسكن. ولم تمتلك هيئة من الهيئات مستشفى واحدا أو مدرسة عليا. ولم توجد بها مكتبة تستحق الذكر أو حمام عمومى. هذا مع الاشارة ان ذلك العصر قد عرف بقذارة الشوارع وعدم رصفها مما ساعد على انتشار الاوبئة والامراض. مما جعل حضارة الأندلس تزيد روعة وتقدماً فى مجال رقيها وتفوقها.[1](لوحة رقم1)

وبقيت إسبانيا قرونا في حكم العرب وهى مركز المدنية ومنبع الفنون والعلوم ،مثابة العلماء والطلاب، ومصباح الهداية والنور،ولم تصل أية مملكة في أوروبا إلى ما يقرب منها في ثقافتها وحضارتها.[2]وساعد على هذه النهضة سياسة التسامح التى اتبعها المسلمون تجاه أهل الذمة من مسيحيين ويهود [3]

مدينة قرطبة كما وصفها العلماء و الأدباء:

ابن حوقل

وقد طرق قرطبة في حدود سنة (350هـ/ 961م) ابن حوقل، التاجر الموصلي، فقال يصفها: «وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، ويقال: إنها كأحد جانبي بغداد،

[1] ابن حوقل،ص107

سيجريد هونكه، شمس الله تشرق على الغرب ،ص 413

[2] ستانلى لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ص159

[3] إسماعيل أحمد ياغى،الحضارة الإسلامية وأثرها في الغرب،ص69

وإن لم تكن كذلك فهي قريبة منها. وهي حصينة بسور من حجارة، ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي من الرصافة، والرصافة مساكن أعالي البلد متصلَة بأسافله من ربضها[1]، وأبنيتها مشتبكة محيطة من شرقيها وشماليها وغربها وجنوبها، فهو إلى واديها، وعليه الرصيف المعروف بالأسواق والبيوع، ومساكن العامة بربضها، وأهلها متمولون ».[2]

الإدريسي

يقول الإدريسي عن تميز سكان قرطبة بأنهم أشراف الناس وعلماؤهم، وأرفعهم مكانة: «ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة، ولهم مراكب سنية وهمم علية».[3]

الحميري

ويقول الحميري: «قرطبة: قاعدة الأندلس، وأُم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تُذْكَر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذهب، وطيب المكسب، وحسن الزي، وعلو الهمة، وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء».[4]

[1] الربض: جماعة الشجر الملتف انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة ربض، 149/7.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 324/4

[3] الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 575/2.

[4] الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص456.

ياقوت الحموي

ويصفها ياقوت الحموي –أيضاً– فيقول: «مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني أمية، ومعدن الفضلاء، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع».[1]

ابن بسام

ويحكي أبو الحسن بن بسّام عنها قوله: «كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأُمّ القرى، وقرارة أهل الفضل والتقى، ووطن أُولِي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوعَ متفجر العلوم، وقبة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمرة الخواطر، وبحر درر القرائح؛ ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر؛ وبها انتشأت التأليفات الرائقة، وصنفت التصنيفات الفائقة؛ والسبب في ذلك –وتبريز القوم قديماً وحديثًا هنالك على من سواهم– أن أفقهم القرطبي لم يشتمل قط إلا على أهل البحث والطلب لأنواع العلم والأدب. وبالجملة فأكثر أهل بلاد هذا الأفق –يعني قرطبة خاصة والأندلس عامة– أشراف عرب المشرق افتتحوها، وسادات أجناد الشام والعراق نزلوها؛ فبقي النسل فيها بكل إقليم، على عرق كريم، فلا يكاد بلد منها يخلو من كاتب ماهر، وشاعر قاهر».[2]

ابن الوردي

ويصفها وأهلها ابن الوردي في خريدة العجائب فيقول: «وأهلها أعيان البلاد، وسراة الناس في حسن المآكل والملابس والمراكب وعلو الهمة، وبها أعلام

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، 324/4.

[2] أبو الحسن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 33/1.

العلماء وسادات الفضلاء، وأجلاء الغزاة وأمجاد الحروب». ثم قال بعد أن وصف مسجدها وقنطرتها: «ومحاسن هذه المدينة أعظم من أن يحيط بها وصف».[1]

تاريخ جامع قرطبة

كان هدف الجيوش الإسلامية الفاتحة الأول هو إيصال نور الإسلام إلى الناس، بتوفير الحرية لاختيارهم له أو البقاء على أديانهم ومعتقداتهم.تطلب هذا الامر وجود مكان مستقل لأداء الصلاة وتعليم الناس شؤون دينهم فكان بناء المساجد من اول اهتمامات العرب عندما فتحوا الأندلس، وتلك سنة متبعة عندهم،فكان بناء مسجد الرايات،وسواه من المساجد التى تم بناؤها فى عهد الفتح والولاة.[2]

كانت الحواضر الإسلامية الكبرى لا تتسع إلا لمسجد جامع واحد،غير إن كل حى من احيائها يحفل بمسجد أو اكثر،حتم هذا الأمر توسعة المساجد الجامعة بإستمرار،لتلبى زيادة عدد المصلين فيها،والذى كان يتزامن مع الزيادة بعدد السكان بفعل الزيادة الداخلية التى تتبع الاستقرار والرخاء الاقتصادى والاجتماعى وبفعل الهجرة إليها من القرى والمدن الأخرى لتوفر عوامل الجذب المختلفة، التى توجه حركة الناس من مكان لآخر.[3]وهذا ما حدث مع حاضرة الأندلس(قرطبة) ومنذ عهد الإمارة،فازداد عدد سكانها زيادة استوجب

---

[1] ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص12.

[2] أبو عبد الله محمد بن ابى بكر الزهرى،كتاب الجغرافية،تحقيق محمد حاج صادق،مجلة الدراسات الشرقية،دمشق،المعهد الفرنسى،1968، 214/21.

أبو الحسن على بن عبد الواحد الشيبانى ابن الاثير،الكامل فى التاريخ،دار الفكر،بيروت،1978، 562/4-563

[3] المقرى،نفح الطيب،ج1،ص153

إحداث زيادات فى مسجدها الجامع،ليتسع لأعداد المصلين المتزايدة وباستمرار من المسلمين احفاد الفاتحين الأوائل واحفاد الداخلين الأوائل إلى الاندلس، وأبناء من أسلم من أهل البلاد وأحفادهم،وأبناء الأسر الجديدة التى تكونت على أرض شبه الجزيرة من زواج المسلمين من نساء المجتمع الاسبانى.[1]

لما افتتح المسلمون الاندلس استدل المسلمون بما فعله ابو عبيدة بن جراح،وخالد بن الوليد عن رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،رضى الله عنه،بالشام من مشاطرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا[2]حيث شاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التى كانت داخل مدينتها تحت السور وهى الكنيسة المعروفة بشنت بنجنت وابتنوا فى ذلك الشطر مسجداً لهم يسمى بجامع الحضرة أو جامع الخليفة أسس قبلته حنش الصنعانى [3]وأبو عبد الرحمن

[1] المقرى،نفح الطيب،ج1،ص560

ابن عذارى, البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب جـ 2,ص 341-342

[2] نجلة العزى،مسجد قرطبة سيد المساجد،مجلة آفاق عربية،عدد10، 1978م،ص80-81

[3] هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة، أبو رشدين النسائي الصنعاني كان تابعيا وقائل إلى جانب علي بن أبي طالب فلما قتل علي انتقل إلى مصر فأقام بها. وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت، والأندلس مع موسى بن نصير. وهو أول من ولي عشور إفريقية. وابتنى جامع سرقسطة بالأندلس، واسس جامع قرطبة. وتوفي بسرقسطة

الاحاطة فى اخبار غرناطة دار العلم للملايين - بيروت-ط 15(2002) , ج: 2- ص: 286 الكامل: حوادث سنة 100 وتهذيب ابن عساكر 5: 7 وجذوة المقتبس 189.

الحبلى، [1]وبقى الشطر الآخر بأيدى النصارى، [2]وكان ذلك فى تاريخ لا يتجاوز سنة 92هـ/711م.[3]

اورد كل من ابن عذارى[4] والمقرى[5] نصاً تاريخياً هاماً بالنسبة لتاريخ جامع قرطبة نقلاه عن الرازى الذى اقتبسه بدوره عن الفقيه محمد بن عيسى.

نص المقرى فى نفح الطيب: ذكر ابن سعيد فى المغرب عند تعرضه لذكر جامع قرطبة ما نصه:

---

[1] هو "عبد الله بن يزيد المعافري ثم الحبلى، يكنى أبا عبد الرحمن يروي عن جماعة من الصحابة، منهم: أبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر الجهينى، وغيرهم، شهد فتح الأندلس مع موسى بن نصير، ثم استوطن القيروان، واختط بها دارا ومسجدا وكَتابا في ناحية باب تونس، وانتفع به جماعة من الأفارقة، وبث فيهم علما كثيرا، مات سنة 100 هـ

تاريخ ابن يونس، ج.1 ، ص.290 رقم: 787

السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ج.1 ، ص.44

المقرى، نفح الطيب، ج.3 ، ص.9

[2] وشكك بعض الاثريين والباحثين فى صحة تقسيم كنيسة شنت بنجنت بقرطبة بدعوى عدم وجود آثار للكنيسة فى المكان المذكور.

أحمد فكرى،مساجد القاهرة ومدارسها،ص274

وبدأ التشكيك بوجود هذه الكنيسة منذ أن شرع المهندس والآثارى دون فليب هرناندث بحفر بيت الصلاة القديم عام 1932 ولم يؤد ذلك التنقيب إلى كشف آثار لكنيسة نصرانية بل وجد آثار رومانية قديمة

طاهر المظفر العميد، آثار المغرب والأندلس،ص215

[3] عن مشاطرة الروم كنائسهم ،انظر الطبرى،تاريخ 440/3

[4] ابن عذارى, البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب جـ 2,ص 341-342

[5] المقرى , نفح الطيب جـ2,ص96،97

"انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأى عمر(رضى الله تعالى عنه)بالشام, من مشاطرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا, فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التى كانت داخل مدينتها تحت السور, يسمونها بشنت بنجنت, وابتنوا فى ذلك الشطر مسجدا جامعا, وبقى الشطر الثانى بأيدي النصارى, وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة, واقتنع المسلمون بما فى أيديهم, إلى أن كثروا وتزايدت عمارة قرطبة, ونزلها أمراء العرب, فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها, حتى كان الناس ينالون فى الوصول إلى داخل المسجد الأعظم مشقة لتلاصق تلك السقائف, وقصر أبوابها, وتطمأن سقفها, حتى ما يمكن أكثرهم القيام على اعتدال لتقارب سقفها من الارض.[1] ولم يزل المسجد على هذه الصفة إلى أن دخل الامير عبد الرحمن بن معاوية المروانى إلى الاندلس,[2] واستولى على

[1] تقارب السقف من الارض حتى كان لا يستطيع المصلى ان يقوم في اعتدال وبخاصة في المؤخرة حيث كان مستوى الأرض يرتفع كلما اتجهنا شمالاً لان أرضية الجزء القبلى من المسجد كانت منحدرة نحو النهر،ولما كان المسجد يشغل الجزء الشمالى من الكنيسة فقد ان يكون تعليق السقائف من الجهة الشمالية وليس القبلية حيث المحراب..

محمد حسن العيدروس، العمارة والفنون الاندلسية،ص64

[2] عبد الرحمن الداخل هوالاميرالاموى عبد الرحمن بن معاوية حفيد هشام بن عبد الملك ,ولقب بعبد الرحمن الداخل بعد دخوله غلى قرطبة , وعرف ايضا بعبد الرحمن الأول المعروف بلقب صقر قريش وعبد الرحمن الداخل، والمعروف أيضاً في المصادر الأجنبية بلقب عبد الرحمن الأول. لانه اول ثلاثة أمراء حملوا هذا الاسم وتولوا امارة الأندلس. أسس عبد الرحمن الدولة الأموية في الأندلس عام 138 هـ، بعد أن فر من الشام إلى الأندلس في رحلة طويلة استمرت ست سنوات، إثر سقوط الدولة الأموية في دمشق عام 132 هـ، وتتبع العباسيين لأمراء بني أمية وتقتيلهم=

=بعد سقوط الخلافة الاموية بدمشق 132هـ/750م تمكن الامير عبد الرحمن من الفرار من العباسيين الذين سلطوا سيفهم على كل ماهو من بنى امية فقتلوا الابناء والاحفاد من بنى امية. قضى عبد الرحمن خمس سنوات وينتقل من فلسطين لمصر ومنها للقيروان حتى استقرعند قبيلة تغزة البربرية التى تنتمى إليها أمه قرب سبتة, ثم عبر مضيق جبل طارق نحو الاندلس, وتكمن عبد الرحمن بن معاوية من جمع الفرسان حوله منذ دخوله الأندلس ،عندما دخل عبدالرحمن الداخل الاندلس تجمع من حوله محبى الدولة الاموية والامازيع =الذين يعانون من ظلم الحاكم واليمنين واستطاع ان يزيح الحاكم الظالم يوسف بن عبدالرحمن الفهرى وان يحكم ارض الاندلس . ,ليبيعه جميع اهل غرب الاندلس, بعد دخوله اشبيلية في شوال 138هـ/756م.ثم دخل العاصمة قرطبة ,بعد انزاله الهزيمة بجيش الولاية بقيادة يوسف الفهرى وحليفه الصميل بن حاتم, في معركة المصارة في 10 ذى الحجة 138هـ /756م. لقبه الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور أشد اعدائه (بصقر قريش)ليؤسس إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية, استمرت طيلة 173سنة (138-316هـ/756-929م) قال المؤرخون لولا عبدالرحمن الداخل لانتهى الاسلام من الاندلس .

بعد معركة بلاط الشهداء اصابت بلاد الاندلس حالة من الفوضى والضعف والهوان وظن البعض ان الاسلام انتهى فى ارض الاندلس

حدثت بعد ذلك نزاعات وقتال داخلى كثير فى ارض الاندلس تارة بين العرب والامازيغ وتارة بين اهل الحجاز واهل اليمن وتارة بين بنى قسى وبنى ساعدة كل هذا القتال والنزاع كان كفيل باسقاط دولة الاسلام فى الاندلس . سقطت فى ذلك الوقت كل المدن الاسلامية فى فرنسا بعد فترة حكم اسلامى لمدة 47 سنة وعلى ذلك الامر اجمع المؤرخون على ان الاسلام كاد ان ينتهى ويحتاج الى معجزة الهية وبالفعل حدثت المعجزةبدخول عبدالرحمن بن بن معاوية الاندلس

ابن عذارى,البيان المغرب,ج2,ص61، عبد الواحد ذنون طه،الفتح والاستقرار العربى الإسلامى في شمال إفريقيا والأندلس،ط1،دار المدار الإسلامى ،بيروت،لبنان،،ص359 حسين مؤنس, فجر الأندلس,ص664، عصام شبارو, الأندلس من الفتح العربى المرصود إلى الفردوس المفقود, ص107-109ابن القوطية, تاريخ افتتاح الاندلس,ص25

امارتها ,وسكن دار سلطانها قرطبة, وتمدنت به, فنظر أمر الجامع, وذهب إلى توسعته, واتقان بنيانه, فاحضر أعاجم قرطبة وساومهم ببيع ما بقى بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخلوا فيه, وأوسع لهم البذل, وفاء بالعهد الذى صولحوا عليه, فأبوا من بيع ما بأيديهم, وسالوا بعد الجد بهم أن يباحوا بناء كنائسهم[1] التى هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يتخلوا للمسلمين عن شطر الذى طولبوا به, فتم الأمر على ذلك, وكان ذلك سنة ثمان وستين ومائة"[2] فابتنى عند ذلك عبد الرحمن المسجد الجامع ، وفى بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلوى من قصيدة:

وأنفق فى ذات الاله ووجهه ثمانين ألفا من لجين وعسجد

توزعها فى مسجد أسسه التقى ومنهجه دين النبى محمد

ترى الذهب النارى فوق سموكه يلوح كبرق العارض المتوقد

قال: وكمل سنة سبعين ومائة" .

وهناك عوامل ساعدت على الفراغ السريع من بناء جامع عبد الرحمن الداخل

،مثل إعادة استخدام بعض مواد البناء القديمة كالأعمدة الرخامية والاحجار المجلوبة من الكنائس القوطية والرومانية المخربة .وقد استخدم عبد الرحمن الداخل فى بنائه عدداً كبيراً من البنائين والعمال حتى ينتهى العمل فيه سريعا,

[1] ذكرها ابن عذارى كنائسهم, والاصح كنيستهم لان الرازى يقصد الكنيسة التى هدمت خارج أسوار قرطبة من جهة الغرب,وهى المعروفة بشنت اجلح San Ascilo.

[2] المقرى,ج2,ص98

ابن عذارى, البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب جـــ 2,ص 341-342

وانفق فى ذلك مبلغا ضخما من المال يصل إلى ثمانين ألف دينار,[1] وهو مبلغ طائل تغنى به الشعراء.[2]

كنيسة شنت بنجنت San Vicente

اجتمعوا المؤرخين العرب الذين كتبوا فى تأريخ بناء جامع قرطبة على ان موضع المسجد الذى اقامه الاميرعبد الرحمن الداخل كانت تشغله كنيسة على زمن القوط الغربيين ، والمقرى هو المؤرخ الوحيد الذى نقل إلينا اسم هذه الكنيسة شنت بنجت او كنيسة القديس بيثنتى[3] (وربما كانت كاتدرائية او دير او شيئا من هذا القبيل). [4]وهى الكنيسة التى اقتسمها المسلمين بعد فتح قرطبة مباشرة مع اهلها النصارى ،على نحو ما فعله عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد بالنسبة لكنيسة يوحنا المعمدان بدمشق.[5]

نتائج الحفائر التى اجريت عامى(1352-1351 /1932-193م)فى أرضي بيت الصلاة القديم بنظر المهندس والعالم الاثرى دون فيلث هرناندث، التى لم تؤد إلى الكشف عن آثار كنيسة أو بازيليكية،باستثناء آثار رومانية كشفت على

---

[1] فقد اشترى موضع الكنيسة بمائة الف دينار, وانفق على بناء الجامع ثمانين ألف دينار .المقرى,جـــ2,ص83

[2] المقرى, نفح الطيب,جـــ2,ص97,96 ابن عذارى,جـــ2,ص342 فتح الأندلس,ص70

[3]Nuha N. N. Khoury ،"The Meaning of the Great Mosque of Cordoba in the Tenth Century" ،Vol. 13 (1996), pp. 80-98

[4] باسيليو بابون مالدونادو،عمارة المساجد فى الاندلس قرطبة ومساجدها،ترجمة،على إبراهيم منوفى، هيئة أبو ظبى للثقافة والتراث(كلمة) ط1،،2011،ص7

Creswell,Early muslim architecture,Vol.i,pp.102sqq.
Cresswell,a short account of early musslim architecture, pp.66-72
Torres Balbas,Arte hispano musulman,p.341[5]

عمق كبير،وتقتصر على بقايا فسيفساء رومانية. واسس منازل تعلوها آثار أسس لبناء خرب ارضيته من الملاط وجدرانه من بناء غير منتظم،يتألف من ثلاثة أروقة تتجه من الشرق إلى الغرب.[1] لعلها لكنيسة بدائية تتسم بالفقر فى بنائها،وضالة حجمها إذا ما قيست بكنائس ترجع إلى تلك العصور، فان صغرها لا يتفق واعتبارها مركزا اسقفيا لعاصمة كقرطبة.[2] (شكل رقم5)(لوحة رقم 11)

يعد جامع قرطبة من أروع امثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على حد السواء فى العصر الوسيط. وكان اكبر جامعة تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية، ويفد إليها الطلاب المسلمين والعجم للدرس والتحصيل.[3]

اشتهرت مدينة قرطبة بمسجدها الجامع (الذى ليس فى بلاد الأندلس والإسلام أكبر منه)[4]وكان يضرب به المثل فى العظمة والأتساع وفى كثرة الزخارف والجمال. وقد كان جامع قرطبة، فضلا عن وظيفته الدينية الرئيسية كمسجد الإمارة ثم الخلافة الرسمى، يتخذ مركزاً لبعض المهام الكبرى ،فقد كانت تؤخذ فيه بيعة الامير او الخليفة الجديد، وكانت تعلن من فوق منبره عظائم

---

[1] Torres Balbas, Arte hispano musulman,P.341

[2] مانويل جوميث مورينو،الفن الإسلامى في إسبانيا(من الفتح الإسلامى للأندلس حتى نهاية عصر المرابطين) وفنون المستعربين،ترجمة لطفى عبد البديع،السيد عبد العزيز سالم،راجعه جمال محمد محرز،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،ص16-17

السيد عبد العزيز سالم,قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ,مؤسسة شباب الجامعة ,الاسكندرية,مصر,1997م,جـــ1,ص 279

[3] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس,(من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة),مؤسسة شباب الجامعة,الإسكندرية,1997,ص 380

[4] المقرى, نفح الطيب,ج2,ص8

الحوادث ،وتقرأ الأوامر والأحكام الخلافية الهامة، وكان يعقد به مجلس قاضى القضاة.[1] وفيه كان يحتفل المسلمون بالمناسبات الدينية والسياسية الهامة، مثل الاحتفال بليلة القدر ،والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج ،واحتفال الخلفاء بتلقي البيعة.[2] وبلغ اهل الأندلس فى تعظيم مسجدهم الجامع فيقول ابن المثنى شاعر عبد الرحمن الأوسط:

بنيت لله خير بيت يخرس عن وصفه الأنام

حج إليه بكل أوب كأنه المسجد الحرام

كأن محرابه اذا ما حف به الركن والمقام[3]

وقال عنه الحميرى "المشهور امره, الشائع ذكره، من أجل مصانع الدنيا كبر مساحة،وإحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المروانيون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميما إثر تتميم، حتى بلغ الغاية فى الإتقان، فصار يحار فيه الطرف،ويعجز عن حسنه الوصف، فليس فى مساجد المسلمين مثله تنمقا وطولا وعرضا"[4]

ومن مظاهر إجلال المسلمين وتعظيمهم لهذا الجامع ما نعته به مؤرخو العرب، فقد سماه عبد الواحد المراكشى بالجامع الأعظم،[5]وكذلك وصفه ابن

[1] محمد عبد الله عنان،الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال،ص22

[2] السيد عبد العزيز سالم, قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس,ج2,ص36

[3] المقرى, نفح الطيب,ج1,ص326-325

[4] الحميرى, الروض المعطار في خبر الأقطار,جـ1,ص 457,456

[5] عبد الواحد المراكشى, المعجب في تلخيص أخبار المغرب,ص372

بشكوال، ولسان الدين بن الخطيب.[1]وكان يعد مفخرة من مفاخر قرطبة وفى ذلك يقول القاضى ابو محمد بن عطية:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة منهن قنطرة الوادى وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم اكبر شيء وهو رابعها

وقد أدى تعظيم أهل الأندلس لجامع قرطبة إلى ان أصبح المثل الاعلى لمساجد المغرب والأندلس.[2] وكان له عدة مسميات كالمسجد الجامع ،الجامع الأعظم والجامع المبارك والجامع المكرم.[3]

ويقع مسجد قرطبة على امتداد الواجهة الشرقية لقصر الخلافة الاموية والى الشمال منه قنطرة قرطبة ، ويفصل بينه وبين قصر الخلافة الطريق الاعظم المسمى بالمحجة العظمى[4]

إنشاء مسجد قرطبة

زمن الامير عبد الرحمن الداخل (113 – 172 هـ / 731 – 788م)

وقد شرع فى بناء المسجد سنة 170 هـ/ 786م وكان حينئذ على شكل مستطيل طوله 75 م تقريبا وعرضه 65 م وكان بيت الصلاة فيه يمتد 65م

[1] ابن الخطيب, اعمال الأعلام ص048,43

[2] السيد عبد العزيز سالم, قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس,ج2,ص36

[3] محمد حسن العيدروس، العصر الاندلسى العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص63

[4] المقرى،نفح الطيب،ج2،ص13، عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،ج1،ص195

فى موازاة جدار القبلة و37م فيما بين الجدار والصحن, وكان بيت الصلاة هذا يتكون من اثنى عشر اسكوبا ينقسم إلى تسع بلاطات .[1]

كان نصف المسجد مسقفا ونصفه صحنا وكان النصف المسقوف(بيت الصلاة)يتميز باشتماله على تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة تمتد على اثنى عشر قوسا تقوم على عمد من الرخام.[2]وقد انقسم المؤرخون أيضا بالنسبة لذلك إلى فريقين :فريق يرى ان بيت الصلاة في مسجد عبد الرحمن الداخل كان يشتمل على 9بلاطات استنادا على ورد من النصوص التاريخية .حيث ان هناك نصوص نقلها المؤرخ القرطبى ابن حيان عن مؤرخين معاصرين لزيادة عبد الرحمن الأوسط في جامع قرطبة أمثال الرازى والحسن بن مفرج ومعاوية بن هشام ،حددت تحديدا دقيقا عدد بلاطات مسجد الأمير عبد الرحمن الداخل حيث تجمع هذه النصوص على ان بيت الصلاة في مسجد عبد الرحمن الداخل كان يشتمل على تسع بلاطات ،فأضف إليها الامير عبد الرحمن الأوسط بلاطين جانبيين في سنة 218هـ /833م استوسع بهما بيت الصلاة القديم بحيث أصبح مجموع بلاطات المسجد أحد عشر بلاطا ، ثم مد هذه البلاطات جميعا من جهة القبلة في سنة 234هـ./849م .والفريق الثانى يذهب إلى ان مسجد عبد الرحمن الداخل كان يتكون من 11 بلاطا ويعتمد هذا الفريق أساسا على الحقائق الاثرية التي اسفرت عنها الكشف الاثرى في

[1] خالد السلطانى،عمارة مسجد قرطبة. التأسيس المفاهيمى للعمارة ،المدى الثقافى،العدد 791

[2] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس,ص13

أرضية بيت صلاة المسجد الأول دون الاعتبار للنصوص التاريخية .[1](لوحة رقم3)

وكان الصحن مغروساً بالاشجار حيث عهد عبد الرحمن الداخل إلى صعصعة بن سلام الشامى (صاحب الصلاة بالمسجد) وكان على مذهب الإمام الاوزاعى- ان يغرس فى صحنه الاشجار(فغرسها بأشجار الليمون والبرتقال والارنج)ليأكل منها الجائعون والقادمون إلى المدينة من شتى البقاع،و اتبع أمراء إسبانيا الإسلامية وخلفاؤها هذا التقليد بعد ذلك فى بقية مساجد الأندلس.[2]ولذلك يقال: إن الأثر الباقى من مذهب الاوزاعى فى الاندلس بعد انتشار مذهب الإمام مالك يتمثل فى هذا.[3]وتتوسط هذه الحديقة بركة كبيرة كانت مياهها تخرج من خلال فتحات صغيرة عبر قنوات حجرية لتسقى صفوف أشجار البرتقال المزروعة فى أحواض حجرية مستديرة، وذات فتحات تتصل بالقنوات المكشوفة ،تاركة مساحة كافية من الحديقة لاستعمال المصلين وإقامة فرائض الشريعة الإسلامية وكان هناك اربع برك مزودة بالنوافير الجميلة

[1] عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة،ج1،ص290

[2] عارضه بعض الفقهاء واعتبروا وجود الاشجار في الصحن بدعة ،ولكن فريقا آخر أيده مستندا إلى وجود نخلة في صحن مسجد الرسول (صل الله عليه وسلم) في المدينة المنورة،

[3] مذهب الأوزاعي، مؤسس هذا المذهب هو عبد الرحمن الأوزاعي. جاء في كتاب سير أعلام النبلاء أن الإمام عبد الرحمن الأوزاعي أسس مذهبا مستقلا عمل به فقهاء الشام وفقهاء الأندلس ثم فني بعد 220 عاما من ظهوره. ويعتقد انه كان أول مذهب يعمل به أهل الأندلس، وعمل به أهل المغرب أيضا إلى حين دخول المذهب المالكي .ويروى عن الأوزاعي تسامحه الشديد مع مسيحيي ويهود عصره في الشام، فقد وقف في وجه الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أمر بإجلائهم من الشام بسبب ثورة جماعة منهم عليه، لكن الأوزاعي ناصرهم وطالب الخليفة بعدم ترحيلهم، وهو ما تم

نحتت كل منها من كتلة واحدة من المرمر بلغ من ضخامتها ان تطلب نقلها من المقلع إلى مكانها فى الجامع سبعين ثورا .[1]

وتوفى الامير عبد الرحمن 173هـ قبل ان يتم بناء المسجد فلم تكن له مئذنة او سقائف لصلاة النساء.[2]

زيادة هشام بن عبد الرحمن (180-173هـ/788-795م)

فلما تولى هشام[3] امارة قرطبة (180-173هـ/788-795م) أكمل الأعمال التكميلية التى لم يتهيأ لأبيه الداخل ان يكملها فى حياته, وهى بناء المئذنة وسقائف النساء ومجنبات الصحن وحوض الوضوء.[4]ورمم القنطرة وبنى جانبا من القصر ,وبنى مسجداً أمام باب الجنان.[5]كما أمر هشام بتدريس اللغة العربية في معاهد المسيحيين واليهود، فكان لذلك دوره في التمازج بين أصحاب الديانات المختلفة في الأندلس. وفي عهده، ذاع مذهب مالك في الأندلس.فانتشرت المالكية في الأندلس بعد أن كان المذهب السائد فيها مذهب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.[6]وأصبح المسجد موضع اهتمام الخلفاء من

---

[1] محمد هشام النعسان،قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية(دراسة تراثية،أثرية،عمرانية،جمالية)دار الكتب العلمية،2017م،ص371

[2] محمد حسن العيدروس، العصر الاندلسى العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة، دار الكتاب الحديث،القاهرة،2011،طا،ص65

[3] هوهشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. ثاني أمراء الدولة الأموية في الأندلس، والمعروف بلقب هشام الرضا.

[4] ابن قوطية,ص43,-المقرى,جـ2,ص97

[5] السيد عبد العزيز سالم, قرطبة حاضرة الخلافة,ج1,ص289

[6] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الاندلس، جـ1،ص229

بنى امية ومحل رعايتهم.. وتناولوه إما بالزيادة أو التجديد أو الزخرفة أو النقش.[1]

زيادة المسجد في عهد عبد الرحمن الاوسط (206 - 238 هـ/821 - 852م)

المسجد الاقدم الذى ابتناه الأمير عبد الرحمن الداخل كان يتألف من تسعة أبهاء،زاد عليها عبد الرحمن الاوسط بهوين او بلاطين جانبيين،واحد من كل جانبى بيت الصلاة القديم

عمد الامير عبد الرحمن الاوسط[2] إلى توسعة المسجد مرتين:ففى المرة الأولى أضاف بلاطتين جانبيين فى سنة 218هـ/833م،استوسع بهما

[1] جودة هلال، ومحمد محمود صبح، قرطبة فى التاريخ الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986،ص 35

[2] هو الامير عبد الرحمن الثانى بن الحكم الاول الربضى الذى تولى امارة الاندلس بعد وفاة ابيه سنة 206هـ/822م.ليحمل اسم الامير عبد الرحمن الاوسط, عرفت إمارة الاندلس عصرها الذهبى طيلة فترة حكمه التى امتدت لأحدى عشر عاما من سنة (206-238هـ/822-852م)تمكن خلالها من وضع اسس الحضارة الاندلسية ,فقد عشت قرطبة فى عهده عصرها الذهبى بمؤثرات حضارية جديدة ,لم يعرف مثلها من قبل ,بعدما امتزجت بالمؤثرات الحضارية الشامية والحجازية ,فى انفتاح على العاصمة العباسية بغداد ,لتؤلف فى ما بعد طابعا اندلسيا أصيلا تميزت به الاندلس, وعرفت الاندلس فى عهده نهضة عمرانية كبيرة, فقد بنى قصرا جديدا فى قرطبة, كما وسع جامع قرطبة الذى بناه الامير عبد الرحمن الأول الداخل. ويعد الأمير عبد الرحمن الأوسط اول من ضرب نقودا أندلسية باسمه, مع انشائه دار السكة الجديدة فى قرطبة.
أحمد مختار العبادى, فى تاريخ المغرب والأندلس ,ص151، ابن عذارى, البيان المغرب ,جـ2,ص230,82

المسجد. 1 ثم أوصل هذيه البلاطتين في سقيفتين يحفان بصحن المسجد من الشرق والغرب، كل سقيفة منهما تقوم على 19 سارية ثم أوصل هاتين السقيفتين من أبوابهما القبلية بالسقائف التي كان قد اسسها الامير هشام فى جوفى بيت الصلاة،ثم ربط بين هاتين السقيفتين عند طرفيهما الشماليين بسقيفة شمالية تقوم على 23سارية.[2]

يذكر ان عذارى ان الزيادة التى قامت فى سنة 218هـ/833م ما بين الارجل (الدعائم) التى تقع ما بين السوارى (الاعمدة) إلى القبلة,[3] فانه يشير فى موضع آخر إلى الفراغ من هذه الزيادة تم فى جمادى الاولى سنة234هـ.[4] ويقول الرازى "وزاد الأمير عبد الرحمن بن الحكم فى المسجد الجامع بقرطبة أول الزائدين فيه من خلفاء بنى مروان الزيادة الأولى الظاهرة من قبلته للداخل إليه, البارزة من بين البنية الأولى التى ابتناها ابو جده عبد الرحمن بن معاوية الأمير الأول الداخل إلى الأندلس ,على أساس مختطى هذا المسجد المبارك من العرب الفاتحين للجزيرة, فمد عبد الرحمن زيادته تلك طولا مع القبلة فى الفضاء البراح هنالك مع آخر هذا المسجد بباب المدينة الكبير القبلى المعروف اليوم بباب القنطرة. وقد كانت ابهاء المسجد الأقدم تسعة ابهاء, زاد عليها عبد

---

[1] Arabica,p.89

ابن قوطية،الريخ افتتاح الاندلس،ص78 –المقرى،نفح الطيب،347

[2] Ibid,p91-92

[3] ابن عذارى, البيان المغرب جـ2,ص126

[4] ابن عذارى, البيان المغرب جـ2,ص343

الرحمن بهوين من كل جانبيه وفكملها أحد عشر بهوا, استوسع به المسجد, ورفه عن حاضريه, واعتلى شأنه"[1]

أما الزيادة الثانية للامير عبد الرحمن الاوسط فتشير النصوص إليها على النحو التالى :

النص الاول للحسن بن مفرج جاء فيه"امر الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالزيادة فى الجامع بقرطبة, فزيدت طولاً ما بين الأرجل الضخام الصخرية المائلة فى صدره

(يعنى بها الدعائم) الظاهرة لمن دخل إليه فيما بينها إلى آخر المسجد فى منتهى المحراب"[2]

والنص الثانى لمعاوية بن هشام القرشى الشبنيسى, يحدد تاريخ الانتهاء من الزيادة الثانية وبدء الصلاة فيها فى 20 ربيع الأول سنة234هـ.[3]

و النص الثالث للرازى فيؤرخ الفراغ من هذه الزيادة فى جمادى الاولى سنة 234هـ.[4]

---

[1] ابن حيان,نصوص خاصة بجامع قرطبة نشرها ليفى بروفنسال في مجلة Arabica,مجلد 1,قسم1,ليدن,1954,ص89
Arabica,Vol1,part1,p89
ابن حيان, المقتبس, نشر الحجى,ص243

[2] ابن حيان, نصوص خاصة بجامع قرطبة,ص90

[3] ابن حيان, نصوص خاصة بجامع قرطبة,ص90

[4] ابن حيان, نصوص خاصة بجامع قرطبة,ص91

اما النص الرابع لابن نظام وقد ورد فيه "كثر الناس بقرطبة أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم المطمئنة, وانتابوها من كل حدب وجهة, حتى تضايق عنهم مسجد جامعها, واخل كثير منهم بشهود الجمعة, وقهرهم سلطانهم الامير عبد الرحمن عليه لاخذه برأى مالك فى ألا تفرق بمصر واحد صلاة الجمعة, وحسبهم على مسجدهم هذا وحده, فكانوا يلقون من اقتحامه قدحا, فامر عند ذلك بتوسيعه والزيادة فيه, ورسم ان يكون ذلك من قبل قبلته فى الفضاء ما بينها وبين باب المدينة . حين الزيادة الثانية من بناء هذا المسجد الفاضل المنسوبة إلى عبد الرحمن بن الحكم , المحدودة من عند الارجل الحجرية الضخام المائلة اليوم فى وسط أبهاء المسجد إلى المحراب الأقدم الذى اتخذت فيه اليوم القبة الكبرى المخرمة, ومد عبد الرحمن زيادته هذه طولا من موقف حد المسجد الاول إلى ناحية القبلة"[1]

وبلغ طول زيادة عبد الرحمن الأوسط 50 ذراعا, وعرضها مائة وخمسين, وعدد سواريها ثمانين سارية.[2] وقد مد الأمير جميع بلاطات الجامع نحو الجنوب ما يقرب من ستة وعشرين مترا, ونقل المحراب القديم إلى نهاية جدار القبلة الجديد الذى وصلت إليه زيادته.(لوحة رقم 4)

ولقد كانت زيادة عبد الرحمن الاوسط مسايرة لاسلوب عبد الرحمن الداخل فى البناء والزخرفة .وفتح فى بيت الصلاة بابان فى جانبى المسجد الشرقى والغربى, بالإضافة إلى البابين القديمين. فأصبح للجامع أربعة أبواب: اثنان منها فى الجهة الغربية, واثنان فى الجهة الشرقية, ولم يتبق منها سوى بابا الجدار الغربى المواجه للقصر, وهما باب سان استبان San Esteban[3] وكان

[1] Arabica,op,cit,p,91-92

[2] ابن عذارى,جـــ2,ص343

[3] Torres Ralbas,Portada de San Estaban,Al-Andalus,vol.Xll,1947,p.127

يعرف بباب الوزراء وباب دى لوس ديانيس de los Deanes وكان يطلق عليه اسم باب الأمير.

أما البابان الآخران فقد هدما عند شروع المنصور أبى عامر فى زيادتها شرقى بيت الصلاة. [1]

اى ان **الزيادة الثانية** فقد تمت سنة 234هـ/849م وفيها مد بلاطات المسجد جنوبا فى الفضاء الواقع ما بين القبلة القديمة وباب المدينة القبلى وبلغ طول هذه الزيادة نحو خمسين ذراعا وعرضها نحو مائة وخمسين، وعدد سواريها ثمانين سارية. ونقل المحراب القديم إلى جدار القبلة الجديد،وفتح فى بيت الصلاة بابين فى جانبى المسجد الشرقى والغربى،بالاضاقة إلى البابين القديمين،فأصبح له أربعة أبواب اثنان فى الجهة الشرقية،وآخران فى الجهة الغربية.وتوفى عبد الرجمن الأوسط قبل زخرفة المسجد.[2]

[1] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس,ص388

[2] امحمد حسين العيدروس، لعمارة والفنون الاندلسية فى غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص66

فى عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (238 – 273 هـ/852 – 886م)

وجاء ابنه محمد[1] فامر فى 241هـ/855م "بإتقان طرز الجامع وتنميق نقوشه" اى زخرف المسجد بزخارف بديعة, وأقام فيه مقصورة خشبية حول المحراب عام 250هـ وجعل لها ثلاثة ابواب "ولهذه المقصورة ثلاثة أبواب بديعة الصنع، عجيبة النقش، شارعة إلى الجامع، شرقى وغربى وشمالى"[2] فلما كمل ما أمر به دخله صلى فيه صلاة شكراً لله, فقال فى ذلك موسى بن سعيد:

لعمرى لقد أبدى الإمام التواضعا فأصبح للدنيا وللدين جامعا

بنى مسجداً لم يبن فى الأرض مثله وصلى به شكراً لذى العرش راكعا

فطوبى لمن كان الأمير محمد له إذ دعا إلى الله شافعاً[3]

وتزين عقد باب سان استبان كتابة كوفية تسجل أعمال الأمير محمد فى الجامع نصها(بسم الله الرحمن الرحيم. أمر الأمير, أكرمه الله, محمد ابن عبد الرحمن ببنيان ما حكم به من هذا المسجد وإتقانه, رجاء ثواب الله عليه وذخره به, فتم

[1] هو الاميرمحمد بن عبد الرحمن (207 هـ/823 م – 273 هـ/886 م) خامس أمراء الدولة الأموية في الأندلس. حكم الأندلس لخمسة وثلاثين عاماً، قضاها في مقاومة الثورات والاضطرابات المتلاحقة في عهده.

[2] المقرى,جـ1,ص362

ابن قوطية،تاريخ افتتاح الاندلس،ص88

[3] ابن عذارى ,البيان, جـ 2 ,ص343

ذلك فى سنة إحدى وأربعين ومائتين على بركة الله وعونه, سرور ونصر فتياه.[1]

فى عهد الامير المنذز بن محمد2 (273 – 275 هـ/886 – 888م)

اقيم فى صحن المسجد بيت المال على غرار بيوت المال فى جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط والجامع الاموى بدمشق ،كما امربتجديد السقاية وإصلاح السقائف. .[3]

الامير عبد الله بن محمد(275 – 300 هـ/888 – 912م)

وزاد الأمير عبد الله بن محمد (اخو المنذر) ساباطاً معقوداً على حنايا, أوصل به ما بين القصر والجامع من جهة الغرب .[4] وفتح على

---

[1] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس,ص389

[2] هو الامير ابو الحكم المنذر بن محمد ، سادس أمراء الدولة الأموية في الأندلس. حكم الأندلس لعامين خلفًا لوالده الأمير محمد بن عبد الرحمن قال عنه ابن عذاري: «ولم يكن أحد من الخلفاء قبله مثله شجاعة وصرامة وحزمًا وعزمًا.»

ابن عذارى،البيان،جـ2،ص120

[3] ابن عذارى ,البيان, جـ 2 ,ص343

[4] وقد كان القصر إلى الغرب من المسجد ،وكلمة قصر العربية انتقلت إلى اللغة الاسبانية معرفة فى صورة Alcazar ،وقبل أن يتخذه العرب كان قصرا قديما لملوك القوط، واختاره الامويون الاندلسون مقرا لإقامتهم ،وأضافوا إليه منشئات جديدة، وحدائق فسيحة، وزخرفوه بكل رائع، ولأن الذين قاموا على بنيانه امراء كثيرون أخذ كل واحد من أجزائه اسما مختلفا، فهو يدعى :"قصر البستان، والكامل، والمجدد، وقصر السرور، والتاج، والبديع, وغيرها" واجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة.

وقد حاول كل امراء بنى امية أن يضيفوا على مملكتهم كل مظاهر الروعة والعظمة، بإقامة المنشئات المعمارية الضخمة ، وكان عبد الرحمن الناصر من بينهم جميعا أكثرهم إنشاء للعمائر والقصور والأبنية، على نحو لم تعرفه أبدا، ووصلتنا أبيات من الشعر يتحدث فيها الخليفة عن نفسه، ويزهو بأعماله العديدة :=

المقصورة [1] باباً كان يخرج منه إلى الصلاة, وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بنى امية بالأندلس, وتابعه فى ذلك من خلفه منهم.[2]

=همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ملك محاه حوادث الازمان

إن البناء إذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشان

المقرى,جـ1,ص575،طبعة إحسان عباس

[1] المقصورة:قيل اول من اتخذها معاوية بن ابى سفيان حين طعنه الخارجى.وقيل أل من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليمانى.

ابن خلدون،المقدمة،ص269

والحقيقة أن ثلاثة من الخلفاء الاربعة الاوائل قتلوا فى المسجد ولذلك فإن لدى معاوية أسبابا قوية قبل عام 664م لاتخاذ مثل هذه الخطوة

[2] ابن عذارى , البيان, جـ 2 ,ص343

السيد عبد العزيز سالم, المساجد والقصور في الأندلس,ص19

محمد حسن العيدروس،العصر الاندلسى العمارة والفنو الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص67

زيادة مسجد قرطبة فى عهد عبد الرحمن الثالث "الناصر لدين الله"[1]

(300 – 350هـ /912 – 961م)

أصبحت قرطبة فى عهد الأمير عبد الرحمن الناصر قاعدة الأندلس وأم المدائن ،وقرار الخلافة ودار الملك، تجبى إليها ثمرات من كل جهة وخيرات كل ناحية.[2]

اتسعت حتى بلغ عدد سكانها آنذاك نصف مليون نسمة وكانت اكثر مدن أوروبا اكتظاظا بالسكان وفيها 213077 دارا للعامة و 6300 دار للوزراء والكتاب والاجناد,و8555 حانوتا و3877 مسجداً وقيل 1836مسجداً.[3] وهو رقم صعب تصديقه الا اذا افترضنا ان معظم هذه المساجد كانت مساجد

[1] الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. (ولد 11 يناير 891م / 277 هـ –وتوفي 15 أكتوبر 961م / 350 هـ) هو ثامن حكام الدولة الأموية في الأندلس التي أسسها عبد الرحمن الداخل في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية في دمشق، وأول خلفاء قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في قرطبة في مستهل ذي الحجة من عام 316 هـ، والمعروف في الروايات الغربية بعبد الرحمن الثالث تمييزاً له عن جديه عبد الرحمن بن معاوية (عبد الرحمن الداخل) وعبد الرحمن بن الحكم (عبد الرحمن الأوسط).ابن عذارى،البيان،ص158

[2] ابن غالب, فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس,ص26،27

سوزى حمود, الأندلس فى العصر الذهبى(منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث "الناصر لدين الله"),دار النهضة العربية,بيروت,لبنان,2009,ط1,ص83

[3] المقرى, نفح الطيب,ج2,ص 78،79محمد عبد الله عنان،دولة الاسلام فى الاندلس،ص436

خاصة ,اى ان كل صاحب بيت كان ينشىء فى بيته مسجدا له ولاهله، وقد اشار الى ذلك ابن حوقل الرحال.[1]

وقد اهتم عبد الرحمن الناصر بالعمارة والبناء ايما اهتمام حتى انه خصص ثلث الخراج كل عام لهذا الشأن.ويعد تأسيس مدينة الزهراء أعظم أعمال عبد الرحمن الناصر فى مجال العمارة والبناء.[2]

---

1 حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،دار الرشاد،ط8،ط7للدار،2005،القاهرة،ص377

[2] مدينة الزهراء بنيت شمالي غرب قرطبة بنحو خمسة أميال، لتكون قاعدة ملكية جديدة بعدما ضجت قرطبة بساكنيها وازدحموا بها. وعن سبب تسميتها، ساق لنا المقري قصة في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" عن سبب ذلك، فقد قال إن سبب تسمية المدينة باسمها أن عبد الرحمن الناصر ورث عن جارية له مالاً كثيراً، فأمر أن يستخدم= =هذا المال في افتداء أسرى المسلمين، فلم يجدوا من يفتدوه بهذا المال. حينئذ، أشارت عليه جارية له تسمى "الزهراء"، بأن يبتني تلك المدينة وأن يسميها باسمها لتكون سكناً خاصاً لها.شيدت الزهراء في سفح جبل يسمى "جبل العروس"، وقد بدأ البناء بها في غرة المحرم من عام 325 هـ، واستمر البناء بها ما بقي من عهد الناصر ومعظم عهد ابنه الحكم المستنصر، أي ما يقرب من أربعين عاماً، وقد عهد عبد الرحمن الناصر لابنه الحكم بأمر الإشراف على بناء تلك المدينة، وجلب الناصر لبناء الزهراء المهندسين والعمال والفنانين من شتى المدن، وبالأخص من بغداد والقسطنطينية، وقد استخدم البنائين فيها أنواعاً عدة من الرخام الأبيض والأخضر والوردي الذي جيء به من كورتي ألمرية وريُّة ومن إفريقية والشام والقسطنطينية، كما استخدم فيها أربعة الآف وثلاثمائة وأربع وعشرين سارية مختلفة الأحجام من الرخام. وقد بلغ عدد العمالة اليومية في بناء تلك المدينة عشرة الآف عامل كل يوم، إضافة إلى ألف وخمسمائة دابة لنقل مواد البناء، يستخدمون ستة الآف قطعة من الصخر المنحوت في البناء. وقد خصص عبد الرحمن الناصر ثلاثمائة ألف دينار كل عام لعمارة الزهراء، عدا ما أنفقه ابنه الحكم بعد ذلك.وشيد عبد الرحمن الناصر في=====

=مدينة الزهراء قصراً عظيماً كان آية في الفخامة والجلال سمّاه "قصر الخلافة"، أحاطه بالرياض الغناء والجنان الساحرة، وجعل جدرانه من الرخام المزدان بالذهب، وفي كل جانب من جوانبه ثمانية أبواب، وقد زينه بالتماثيل والصور البديعة، كما جعل في وسطه صهريجا عظيما ملأه بالزئبق. خصص الناصر الجناح الشرقي من القصر لإقامته، وزوده بأنفس التحف والعجائب، من بينها حوضا منقوشا بالذهب أهداه إليه قيصر القسطنطينية، إضافة إلى حوض آخر مزين بإثني عشر تمثال من الذهب المرصع بالجواهر يخرج الماء من فيها إلى الحوض أهداه إليه وزيره أحمد بن حزم.

كما شيد الناصر فيها مسجدا جامعا في ثمان وأربعين يوما فقط. استخدم الناصر لإتمام بناء هذا المسجد ألفا من المهندسين والعمال والفنانين في اليوم الواحد، وجعل للمسجد قبابا وأعمدة فاخرة. كان طول المسجد 97 ذراعاً وعرضه 59 ذراعاً وأرضيته من الرخام الخمري وفي وسطه فوارة يجري فيها الماء، وقد حمل إليه منبراً بديع الصنع والزخارف آية في الجمال. كما بنى الناصر في الزهراء داراً عظيمة لصناعة الأسلحة وأخرى لصناعة الزخارف والحلي. وقد انتقل عبد الرحمن الناصر للإقامة في الزهراء عام 329 هـ، بعد أن تم بناء القصر والمسجد الجامع.

بلغت مساحة الزهراء تسعمائة وتسعون ألف ذراع، حتى أنه من فرط اتساعها قدر المؤرخون عدد مصاريع أبوابها بنحو خمسة عشر ألف مصراع ملبسة بالحديد والنحاس. بعد انتقال الخليفة إلى المدينة، إتخذ الأمراء وكبار القادة ورجال الدولة منازلاً لهم بالمدينة، فاتسعت الزهراء حتى اتصل عمرانها بقرطبة.

ورغم عظمة المدينة وأبهتها وما أنفقه عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر في عمرانها، إلا أنها لم تدم طويلاً كقاعدة للحكم في الدولة الأموية في الأندلس، حيث انتقلت قاعدة الحكم عام 368 هـ في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر إلى مدينة الزاهرة التي أسسها الحاجب المنصور بن أبي عامر رجل الدولة القوي الذي كانت بيده مقاليد الحكم في عهد هشام المؤيد بالله، بل تدمرت الزهراء تماماً خلال الحرب الأهلية التي دارت بين أمراء البيت الأموي في الأندلس طمعاً في عرش الخلافة في بداية القرن الخامس الهجري، ولم يبق من الزهراء سوى أطلال، ظلت باقية إلى القرن السابع الهجري.

محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الاندلس،ج1،ص436

واعتنى الخليفة عبد الرحمن الناصر بعمارة المسجد الجامع فى قرطبة اسوة باسلافه من بنى أمية فأمر بتجديد واجهة المسجد الجامع وزاد فيها كثيرا.[1] إذ أمر وزيره ومولاه وصاحب مبانيه عبد الله بن بدربتنفيذ ذلك فقام بتجديد واجهة المسجد الجامع والبلاطات الاحدى عشر وجدد القبو الكبير الذى يصطف المؤذنون امامه يوم الجمعة للأذان وهو من أعجب البنيان.[2]

اما الزيادة الثالثة التى امر بها عبد الرحمن الناصر بإضافتها الى مسجد قرطبة الجامع ،وهى زيادة ضاعفت حجم المسجد وكانت فى اتجاه النهر اى نحو الجنوب، فأزيل جدار القبلة ونقل إلى قرب ضف النهر ،وهناك بنى سورا يحجز المسجد عن الشارع المبلط بين النهر وسور المسجد ويسمى بالصيف، وكان متنزه أهل قرطبة.[3](لوحة رقم5)

قام بترميم واجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن وكانت قد تصدعت بسبب الدفع المستمر للعقود الداخلية فى ذى الحجة 346هـ/958م وذلك على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر.[4]ثم أصلح باب الوزارء (باب سان استبان)،وربط بين طرفى السقيفتين الجانبيتين للصحن بعد مدهما شمالا بسقيفة جوفية بحيث اصبح الصحن كله محاطا بسقائف وفى ذلك قال بن خلدون "امر الخليفة عبد الرحمن الناصر"بعمل الظلة على الصحن الجامع

ابن عذارى،ج2، ص231 ،عبد المجيد نعنعى،تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – التاريخ السياسي. دار النهضة العربية، بيروت،1986،ص380

[1] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الاندلس،ج1،ص445

[2] ابن عذارى،ج2،ص228،229،231

[3] حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص377

[4] Levi-Provencal :Histoire de l'Espagne Musulmane,T1,P3

بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس ".[1]وتقع هذا الظلة قبالة بيت الصلاة .واقام عليه ظلة تستند على كوابيل على نمط كوابيل واجهة بيت الصلاة. اى أقام ظلة فى صحن المسجد ،و هى سقف متحرك يقام من أعمدة الخشب والحصر ليستظل بها الناس أثناء الصلاة فى الصيف ،ثم ترفع بعد الصلاة لان صحن الجامع الفسيح كان مزينا بأشجار النارنج.[2]

وسجل عبد الرحمن أعماله هذه على لوحة بجوار المدخل إلى البلاط الأوسط (باب النخيل) نقرأ فيها (بسم الله الرحمن الرحيم...أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله_أطال الله بقاه_ ببنيان هذا الوجه وإحكام إتقانه, تعظيما لشعائر الله ومحافظة على حرمة بيوته التى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه, ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر, وجزيل الذخر, مع بقاه شرف الأثر وحسن الذكر. فتم ذلك بعون الله فى شهر ذى الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمائة, على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر. عمل سعيد ابن أيوب.)[3]

كما ادرك أن مئذنة جامع قرطبة التى أقامها الامير هشام بن عبد الرحمن الاول(الداخل) قد تصدعت من جهة ,وأصبحت صغيرة الحجم (ارتفاعها أربعون ذراعاً) بالنسبة لجامع فسيح المساحة, ولا تليق بأبهة الخلافة الأموية

---

[1] ابن خالدون،العبر،جـــ4،ص 144

[2] حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ص378

[3] ابن عذارى , البيان, جـــ 2 ,ص343عبد الله عنان،دولة الإسلام في الاندلس،ص405-406، عنتر ولى المزورى، الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها خلال القرن الرابع الهجرى،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية جامعة الموصل،2006، 54 السيد عبد العزيز سالم, المساجد والقصور في الأندلس,ص389

فى الأندلس. لذلك أمر سنة 340هـ/951م ببناء مئذنة جديدة. فجمع لها عرفاء المهندسين من كل مكان ،وأحضر لها الأحجار الضخمة على عجل، وشرع المهندسون فى بنائها بعد أن هدموا مئذنة هشام إلى قواعدها،وهدموا السور الشمالى للمسجد، وحفروا اساسها حتى بلغ الماء، واتموا بناءها فى ثلاثة عشر شهراً، فجاءت رائعة البناء.[1] وجعل لمئذنة الناصر مطلعين، وفصلوا بينهما بالبناء، فلا يلتقى الراقون فيها إلا بأعلاها وكان لكل مطلع منها مائة وسبع درجات، وبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعا حتى مكان المؤذن اى ضعف ارتفاع المئذنة الأولى، ومن مكان المؤذن إلى أعلاها عشرين ذراعاً، ثم نصب بأعلى المئذنة سفود بارز، ركبت فيه ثلاث تفاحات من الذهب والفضة.[2] وكان طول كل جانب من جوانب المئذنة ثمانية امتار ونصف متر، وجدرانها مبطنة جميعها بنوع من الحجر الجيرى يعرف باسم الكدان الملكى ومنقوشة من اسفلها إلى أعلاها بنقوش متنوعة وزخارف ملونة. وكانت أوجه المئذنة الاربعة تزدان بثلاثة صفوف من النوافذ المزدوجة, تحيط بها عقود تشبه حدوة

---

[1] تضررت مئذنة عبد الرحمن الثالث كثيرا في عاصفة عام 1589م,وقد أقام فوقها هرنان رويز قمة من طراز عصر النهضة في عام 1618م.وبعد عام1650م ظهر على القسم القديم من المئذنة علامات الأنهيار بسبب الوزن المترتب عليها, لذلك دعمت بكسوة بنيانية سمكها1,58 مترا.

كريزويل ,الاثار الإسلامية الأولى, ترجمة عبد الهادى عبله, تعليق أحمد غسان سبانو,ط1 ,دار قتيبة,دمشق,1984,ص289

[2] الحميرى,ص155

الادريسى,ص11,10

المقرى,جـــ2,ص98

ابن عذراى,البيان,جـــ2,ص344

الفرس، قائمة على عمد من الرخام، ويعلو الإفريز شرفات مسننة تشبه شرفات الجامع نفسه.[1] وبنى إلى جانب هذه المنارة حجرة للمؤذنين.[2] (لوحة7)

زيادة الخليفة الحكم المستنصربالله (350 – 366 هـ/961 – 976م)

وتعد اهم زيادة فى مسجد قرطبة الزيادة التى تمت فى عهد الخليفة الحكم المستنصر[3] بعد تضاعف عدد سكان قرطبة بحيث لم يعد المسجد يتسع لجموعهم الغفيرة. وقد عهد الحكم إلى حاجبه جعفر بن عبد الرحمن الصقلبى بذلك, فجلبت الاحجار من جبال قرطبة, وأشرف الحكم بنفسه على الزيادة.[4]قال ابن سعيد فى زيادة المستنصر لجامع قرطبة" وبها كملت محاسن هذا الجامع, وصار فى حد يقصر الوصف عنه"[5],واستمر بناء الزيادة أربع سنوات انفق

---

[1] السيد عبد العزيز سالم, المساجد والقصور في الأندلس,ص390

[2] فون شاك, الفن العربى في إسبانيا وصقلية ط2،،ترجمة الطاهر أحمد مكى،دار المعارف،1985،ص24

[3] الحكم المستنصر بالله هوالحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس عام316 هـ. كان عصره امتداداً لفترة زهوة الدولة الأموية في الأندلس الذي بدأ في عهد أبيه. وقد اشتهر الحكم بعشقه للعلم واقتناء الكتب، حتى عجت مكتبته بنحو أربعمائة ألف مجلد، بذل جهداً في جمعها من مختلف الأقطار.ابن عذارى،ص233

[4] محمد حسن العيدروس،العصر الاندلسى العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص68

[5] المقرى,جـ2,ص97

فيها مائتان وواحد وستون ألف دينار وخمسمائة وسبعة وثلاثون دينارا.[1](لوحة26)

قباب جامع قرطبة

أقام المستنصر بالله قبة المحراب 354هـ/965م وأحاطها بقبتين جانبيتين وقبة أخرى على مدخل زيادته بالجامع [2]تجاه المحراب تشبه قبة المحراب بجامع القيروان.[3](لوحة رقم 10)

وسجل ذلك فى نقش بعقد المحراب نصه(..عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم, هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين. الحمد لله رب العالمين, موفق الأمام المستنصر بالله عبد الله الحكم امير المؤمنين, أصلحه الله, لهذه البنية المكرمة, ومعينه على بنيته الخالدة فى التوسع لرعيته, ما إليه وإليهم الرغبة فيما ابتدا من فضله فيهم وصلى الله على محمد وسلم. أمر الإمام المستنصر بالله عبد الله الحكم امير المؤمنين, وفقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله, بتشبيك هذه البنية, فتم بعون الله بنظر محمد

---

[1] ابن عذارى.جـ2,ص359 المقرى,جـ2,ص84

[2] تعرف بقبة الضوء Cupula de Lucenario أوالقبة المخرمة الكبرى أو قبة مصلى فيلافيثوساجوميث مورينو،الفن الإسلامى فى اسبانيا،ترجمة لطفى عبد البديع، السيد عبد العزيز سالم، مراجعة جمال محمد محرز،الدار المصرية للتأليف والترجمة،1968،ص141،131،129،ص145-146

[3] Lambert,L,architecture musulmane du Xe siècle aCordoue et a tolede,p141-161-
la mosque de Cordou, et byzantine,p331-332-
Les Mosquees de type andalou,p281
السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس,ص392
السيد عبد العزيز سالم, قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس,جـ1,ص360

بن تميلخ, واحمد بن نصر, وخالد بن هاشم, أصحاب شرطته,ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب، عبيده، فى شهر ذى الحجة من سنة اربعة وخمسين وثلث مائة. ومن يسلم وجهه إلى الله فقد استمسك بالعروة الوثقا، وإلى الله عاقبة الامور".[1]

قبة المحراب فى جامع قرطبة

هى من أبدع ما تبقى فى العمارة الإسلامية ككل،تلك القبة الجصية[2] التى تغطى المحراب المثمن (الذى يشبه الحجرة عر ضه 2.86م) الخاص بتوسعة الحكم الثانى.أبدع الفنان فى عمل تلك القبة على هيئة صدفة (Concha)،فسارت بتصميمها فى انسجام تام مع الأشكال المفصصة التى تملأ توسعة الحكم،فضلا عن قيامها بدورها كمكبر لصوت الإمام أثناء تقدمه المصلين.[3] (لوحة رقم14)

[1] Levi-Provencal,Inscription Arabes d Espagne,textes,p15

[2] على الرغم من إجماع المؤرخين والجغرافيين القدامى والمحديثن بأن القبة التى تغطى المحراب رخامية ومنقوشة من قطعة واحدة.انظر,الادريسى،المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس،تحقيق:دوزى ودى جوج،ليدن، 1866،ص210

انظر الحميرى،الروض المعطر،ص457

ابن غالب الاندلسى،قطعة من كتاب فرحة الأنفس،ص297 ،السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة فى قرطبة،ص395

إلا انه بعد التحقق منها حديثا على يد تورس بلباس Torres Balbas,L.,Arte hispano (musulman,p.537)تبين انها جصية

[3] وليد عاكف،القباب الأندلسية:أنواعها وأصولها ومميزاتها(92هـ-897هـ/711-1492م)،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية،الحولين الأربعون،2020،م،ص34

اهم ما فى عمارة الحكم المستنصر فى مسجد قرطبة القباب التى تقوم على هياكل من عقود بارزة متشابكة فى أشكال هندسية رائعة،[1] تقوم القبة المفصصة التى تتقدم المحراب على إفريز مثمن زخرفى (يقابله من الخارج هيكل أو رابط خشبى مثمن إنشائى غير مرئى من الداخل يؤطر المساحة المثمنة الناجمة عن تقاطع عقود القبة السفلى .وتتبادل فصوصها الثمانية المتجهة نحو أركان المثمن مع ثمانية أشرطة ذات زوايا مدببة وكأنها طيتان لمروحة يد.

وقد تم كسوة القبة كلها بفسيفساء متنوعة الألوان ترسم زخارف نباتية.[2] وبها سبع نوافذ تعبيراً عن السموات السبع. وكسيت الفراغات بين العقود البارزة

[1] أقدم النماذج الباقية للقباب المفصصة فى الاندلس القباب فىتوسعة الحكم الثانى للمسجد الجامع بقرطبة وهى القباب التى تشغل الفراغ المركزى للهياكل البنائية التى يمكن وصفها بالقباب ذات العقود المتقاطعة. تتوج بداية توسعة الحكم أعلى المصلى المعروف الآن بمصلى بيابيثيوسا .وثانيها تتقدم المحراب .فضلا عن هاتين القبتين، يزين بعض الحشوات أو الفراغات الناجمة عن تقاطع عقود قبة مصلى بيابيثيوسا نماذج مصغرة من التكوين ككل، نعنى هياكل صغيرة أو قبيبات أخرى ذات عقود متقاطعة يشغل فراغها المركزى قبيبات مفصصة رشيقة بارعة الجمال.ونجد قبة مصلى بيابيثيوسا تقوم على مثلثات ركنية زخرفية يقابلها من الخارج أيضا هيكل أو رابط خشبى إنشائى يقوم هو فعليا بحمل القبة المفصصة نظرا لكون المساحة التى تقوم علها مربعة وليست مثمنة، اما تلك القبتين التى تكتنفان المحراب فهما فى واقع الأمر.قبتان مضلعتان تم تزييف مظهرهما من خلال اوتار بارزة تتجه نحو الصرة ليبدوان مفصصتين

وليد عاكف،القباب الأندلسية:أنواعها وأصولها ومميزاتها،ص32-33

[2] وليد عاكف،القباب الأندلسية:أنواعها وأصولها ومميزاتها،ص33

بزخارف نباتية آية فى الروعة والجمال، وقد اوحت قباب الحكم إلى الفنانين الفرنسيين ابتكار القبوات القوطية الشهيرة.[1]

محراب جامع قرطبة

ويصف الادريسى المحراب وصفا مع الواقع بقوله:"ولهذا المسجد قبلة بعجز الواصفون وصفها، وفيها اتقان يبهر العقول تنميقها،وكل ذلك من الفسيفساء المذهب الملون"[2]

والمحراب على هيئة حنية عميقة ،مثمنة الشكل، مكسوة جوانبه بثمانية ألواح من الرخام طول كل لوح منها ثمانى أذرع تامة، وتنتهى هذه الألواح الرخامية من اعلى برف مستدير من الرخام يزدان بزخارف متنوعة، ويعلو هذا الرف البارز ستة عقود محفورة فى الجص يتألف كل منها من ثلاثة فصوص، تقوم

[1] السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور بالاندلس،ص34

استحدث في قباب قرطبة استخدام الكمرات المعقودة فمدها بين الاضلاع المتقابلة من اضلاع المربع ,وجعل من تلاقى هذه الاوتار وتقاطعها هيكلا متماسك الأطراف, مختلف الاشكال, وملأ الفراغات فيما بين ضلوع هذا الهيكل العظمى حشوا مقصرا, فأصبح البناء أقرب مظهرا وتكوينا إلى القبوة الوترية منه الى القبة المضلعة وأهمية التصميم الهندسى في قباب مسجد قرطبة لا يقتصر على زيادة التجزئة، وتشعب الخطوط،والغاء وظيفة المقرنصات, وانكماش الطابق الكروى, وطغيان مظاهر الحشو الزخرفى,بل تتعدى كل ذلك بكثير,اذ انه أصبح من الممكن تطبيق التصميم الجديد القائم على الاوتار أو(الكمرات) المتشابكة,في بناء السقف على هيئة قبوات وترية متقاطعة، سواء على مسطحات مربعة أو مستطيلة أو مستديرة.

كان هذا التطور في بناء قباب قرطبة خطوة تقدمية عظمى في التصميم المعمارى

أحمد فكرى ,التاثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوربية،ص76-77

[2] الادريسى،نزهة المشتاق،ص209

على اعمدة صغيرة من الرخام حيث تظهر بينها توريقات من الفسيفساء على أرضية مذهبة. [1]يعلو المحراب قبة على شكل محارة يسميها الحميرى (خصة). [2]والاصل فى الخصة أنها حوض كروى الشكل مفصص.(لوحة رقم 14)

وتنتهى واجهة المحراب بستة عقود صغيرة تقوم على عمد تظهر بينها توريقات من الفسيفساء على أرضية مذهبة.ذكر الادريسى(وكل هذه القسى مزججة،وصنعة القرط[3] قد اعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها)[4]

فسيفساء المحراب والزخارف

ومما زاد من روعة عمارة مسجد قرطبة الجامع زخارفه الثرية ،فقد احتوت القباب والإطار الذى يحيط بالمحراب, والأبواب المحاطة به مغلفة بالفسيفساء على أرضية مذهبة,[5] فقد دخلت الفسيفساء المسجد الجامع فى أيام الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، وكان قد بعث بها إلى الحكم المستنصر امبراطور الدولة البيزنطية رومانوس الثانى (348-333هـ/944-959م) الى الخليفة الحكم المستنصر وكان الخليفة قد كتب له فى ارسال صناع فى تنزيل الفسيفساء وربما اقتدى فى ذلك بما فعله الخليفة الوليد بن عبد الملك

[1] السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس،ص394

[2] الحميرى،ص154

[3] وذكر السيد عبد العزيز سالم ان القرط هو الفصوص التى تتألف منه العقود، السيد عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس،ص395

[4] الادريسى،نزهة المشتاق،6

[5] جورج مارسيه, الفن الإسلامي, ترجمة عبلة عبد الرازق, مراجعة عاطف عبد السلام,ط1,المركز القومى للترجمة,2016,ص148

عام (96-86هـ/705-714م) فى بنيان المسجد الجامع بدمشق..[1] وقد كان وزنها 320 قنطاراً أرسل بها ملك الروم، ومعها صناع يتقنون وضعها، فامر الحكم بإنزال الصناع والتوسعة عليهم وألحق بهم الحكم عمالًا متخصصين ليعملوا معهم ويتعلموا منهم. [2]حتى حذقوا ذلك وتفوقوا فى الصنعة.(لوحة13،15)

ويوجد فى اعلى عقد المحراب نقش بالخط الكوفى [3]جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم. أمر عبد الله الحكم امير المؤمنين اصلحه الله ،مولاه وحاجبه جعفر بن

[1] ابن عذراى،ج2،ص237 ،ابن الخطيب،اعمال الاعلام،ج2،ص42

[2] حسين مؤنس, موسوعة تاريخ الأندلس,جـ1,ص341

[3]وتبرز لنا هذه الكتابة فى لون أزرق على أرضية مذهبة،او تنعكس الآية فتبدو مذهبة على أرضية زرقاء اللون، وإلى جانب هذين اللونن الذهبى والأزرق نرى الأخضر والأصفر والبنفسجى والأبيض ،وهذا التباين فى الألوان قد أكسب المحراب جمالا رائعا، محمد عبد العزيز مرزوق،الفنون الزخرفيةالإسلامية فى المغرب والأندلس،دار الثقافة،بيروت ،لبنان،ص83

عبدالرحمن رحمه الله، بعمل هذه الفسيفساء [1]فى البيت المكرم، فتم جميعها بعون الله سنة اربع وخمسين وثلاثمائة).[2]

ويعتبر المحراب الذى اقامه الحكم اهم عنصر معمارى فى المسجد حيث عنى به المهندسون عناية كبيرة، [3]فأقاموا القباب على بلاطه الاوسط ورواقه الامامى ونقشوه من الداخل والخارج بالتوريقات ،وزينوا عضادتيه بلوحات من الرخام عليها حفر غائر على هيئة زخارف نباتية وتوريقات تتماشى مع

[1] كلمة الفسيفساء الواردة فى هذا النص استعملت فى المغرب إلى جانب كلمة اخرى اختص بها أهل المغرب دون المشرق هى(المفصص) وقد أشار المقرى فى كتابه نفح الطيب إلى أنه كان يصنع بالاندلس نوع من المفصص المعروف فى المشرق بالفسيفساء.

المقرى،نفح الطيب،ج2،ص69-70

والواقع أن التعبير المغربى أصدق فى الابانة عن هذا الزخرف من التعبير الشرقى اذ أن كلمة المفصص هى خير ما يعبر عن المقصود بهذه الزخرفة التى تقوم على تكوين رسوم مختلفة بواسطة قطع صغيرة مكعبة الشكل اى فصوص مختلفة الألوان

[2] محمد حسن العيدروس،العصر الاندلسى العمارة والفنو الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص68-69

[3] اثناءعمل المحراب الجديد شاور الحكم الثانى العلماء فى تحريف القبلة نحو المشرق،حسب مافعله والده الناصرفى قبلة جامع الزهراء،لان اهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديم نحو الغرب،فقال له الفقيه أبو إبراهيم:يا أمير المؤمنين، أنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار الأمة من أجدادك الأئمة وصلحاء المسلمين وعلمائهم، منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت،متأسين بأول من نصبها من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصنعانى وأمثالهما،رحمهما الله تعالى، وإنما فضل من فضل بالاتباع،وهلك من هلك بالابتداع، فاخذ الخليفة برأيه، وقال نعم ما قلت وإنما مذهبنا الاتباع"

المقرى،نفح الطيب،ج1،ص561

الاسلوب البيزنطى.[1]حتى اصبح قطعة فنية عز ان نجدها فى كل المساجد.فيعد عملا فريدا فى العمارة الإسلامية.[2](لوحة رقم 15)

وقد فتح الحكم إلى يمين المحراب باباً يؤدى إلى الساباط الجديد الذى يصل بين القصر ومقصورة الجامع،[3] ويتصل هذا الباب بمخزن لحفظ الادوات والطسوت والحسك الخاص بإيقاد الشموع فى ليلة السابع والعشرين من رمضان.وذكر انه كان يحفظ بهذا المخزن مصحف[4] قيل عنه" مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان، وهو المصحف الذى خطه بيمينه وفيه نقط من دمه، وهذا المصحف فى صبيحة كل يوم جمعة يتولى اخراجه رجلان من قومة المسجد، وامامهم رجل ثالث بشمعة، وللمصحف غشاء بديع الصنعة منقوش بأغرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه، وله بوضع المصلى كرسى يوضع عليه، ويتولى الامام قراءة نصف حزب منه ثم يرد إلى موضعه"[5]

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور بالاندلس،ص37-38

[2] Grube (E.J.) : The world of Islam , London 1967, p.27

[3] السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور بالاندلس،ص38

[4] ويذكر ان هذا المصحف ظل بالمسجد حتى آل الامر إلى الموحدين فى إسبانيا الإسلامية فأخرج فى 11 شوال 552هـ أيام عبد المؤمن بن على فاعتنى به وتبركوابه، ثم إلى بنى مرين، وكان السلطان ابوالحسن المرينى يحمله معه فى أسفاره دائما، حتى هزم فى موقعة طريف فوقع المصحف فى يد البرتغاليين، حتى جاء به احد تجار أزمور سنة 745هـ وحفظ بالخزانة السلطانية.

محمد حسن العيدروس، العصر الاندلسى العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص70

[5] الادريسى،ص8،10

منبر الحكم المستنصر بجامع قرطبة

وامر بصنع منبر جديد (ليس على معمور الارض أتقن منه، ولا مثله فى حسن صنعته وخشبه ساج وابنوس وبقم وعود قاقلى) ويذكر انه كان يعمل فيه ثمانية صناع، واستغرق العمل فيه سبع سنوات.[1] وبلغت تكلفته 35.705 دينار، وان عدد درجاته تسع درجات، وعدد حشواته ست وثلاثون الف حشوة سمرت بمسامير من الذهب والفضة ورصعت بهما، وكانت بعض هذه الحشوات محلاة بالأحجار النفيسة. [2]وكان هذا المنبر يسير على عجل يوضع بعد صلاة الجمعة فى غرفة خلف المحراب ،وقد اتبعت هذه الطريقة بعد ذلك فى المغرب.[3] وقد اهتدى المهندس فيلث هرناندث إلى الموضع الذى كان يحفظ فيه، وكان مجرد فتحة فى جدار المحراب اكتشفها فى يناير سنة 1934م أثناء قيامه بترميم العناصر الزخرفية بواجهة جدار القبلة فى القطاع الغربي المؤدى إلى المحراب. وتقع هذه الفتحة فى جدار القبلة لصق الجزء الغربى من الدعامة التي ترتكز عليها البائكة الوسطى الواقعة بين البلاط الأوسط والبلاط التالى له من جهة الغرب، أي فيما يلي المحراب مباشرة على يمينه، أو في المنطقة الممتدة فيما بين المحراب وباب المشرع، وكان يدخل فى بيت المنبر عن طريق هذه الفتحة وكانت للفتحة مصراعان من الخشب

---

[1] المقرى جت2،ص95 الحميرى،ص155 الادريسى،ص8

[2] جودة هلال، ومحمد محمود صبح، قرطبة فى التاريخ الإسلامى ،ص 42

[3] محمد حسن العيدروس, العمارة والفنون الأندلسية ،ص69

باسيليو بابون مالدونادو, العمارة المساجد في الاندلس (قرطبة ومساجدها)، ترجمة على إبراهيم منوفى، ص109

السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس,ص392

وظيفتهما غلق بيت المنبر وكانت تربطهما بالجدار مفصلات من الحديد مثبتة بمسامير رؤوسها مضلعة، تبقّت منها آثار في العتب.[1]

وامر الحكم بوضع المنبر القديم إلى جانب المحراب فى 355هـ/966م،ونصب فى قبلة الزيادة التى زادها مقصورة من الخشب منقوشة من الظاهر والباطن مشرفة الذروة بلغ طولها خمسة وسبعون ذراعا وعرضها اثنان وعشرون، وارتفاعها ثمانية أذرع وجعل لها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش. ويذكر ابن غالب الأندلسى: ان باب هذه المقصورة كان من الذهب المضروب، وأن عضادتاه كانتا من الأبنوس، بينما كان طوله واوصاله من الفضة.[2]

مصير المنبر

يذكر ابن غالب "ودخلت النصارى هذا الجامع المكرم عند دخولها قرطبة سنة أربعين وخمسمائة عندما هاجت الفتنة الثانية ثم من الله تعالى بخروجهم بعد تسعة أيام أو نحوها وحملت التفافيح التى كانت فى المنار من الذهب والفضة وحملت من المنبر نحو نصفه وبقى الباقى ونهبت أوصاله وثريات الفضة عند دخولهم ،وأما باب الذهب الذى كان للمقصورة فانه نهب مع بيت مال الجامع فى اليوم الثامن من خروج النصارى عن قرطبة مع جملة الناس.فاجتمعنا على ما بقى من المنبر لينزلوه من ذلك الموضع،فلما أنزلناه وجدنا تحته مقدار ما تحمله دابتان من رمل أبيض مثل سحالة الفضة فأردنا إزالته وتنظيف الموضع

[1] السيد عبد العزيز سالم،قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس،ج1،ص345

[2] ابن غالب الأندلسى، فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس، تحقيق د.احمد لطفى عبد البديع، ص28، ابن عذارى جـ2ص355 المقرى،جـ2ص88

فأخبرنا شيخ من أهل العلم أنه من رمل جليقية دمرها الله جلبه ابن ابى عامر فتركناه" [1]

وقد وصف امبروسيو دى موراليس هذا المنبر فى سنة 1600 م، وذكر أنه كان قائماً فى مصلى سان بدرو الواقع أمام المحراب فقال: "وهو عربة ذات أربع عجلات من الخشب منقوشة نقشاً بديعاً، ويصعد اليها بسبع درجات، وقد فكت هذه العربة بعد مضى سنوات قليلة، ولا اعرف لأي غرض، وبذلك ضاع هذا الأثر" [2]وكذلك وصفه الأب مرتين دى روا، اعتماداً على نص موراليس فقال: "وكان عربة من الخشب ذات أربع عجلات منقوشة نقشاً رائعاً، وكان يصعد اليه بسبع درجات، ولكن لم يبق منه سوى الصندوق العاري، اذ ضاع باقيه بسبب الإهمال".[3]

وفى عام 356هـ/967م هدم الحكم الميضأة القديمة التى كانت تقع بفناء المسجد ويجلب لها الماء من بئر الساقية، والتى انشأها هشام، وبنى بدلا منها اربع ميضآت فى جانبين الشرقى والغربى للفناء ،اثنتين كبيرتين للرجال،واثنتين صغيرتين للنساء،واجرى إليها الماء من عين بجبل قرطبة فى قناة حجرية متقنة البناء جعل فى جوفها انابيب الرصاص لحفظ الماء من الدنس والاوساخ وكانت تصب فى أحواض من الرخام، كما اجرى الماء إلى سقايات من الرخام اتخذها على ابواب الجامع بجهاته الثلاث: الشرقية والغربية والشمالية.[4]

---

[1] ابن غالب،"محمد بن أيوب الأندلسى" فرحة الانفس فى تاريخ الاندلس،299

[2] فيلث هرناندث قصة المنبر المتحرك فى القرن العاشر بمسجد قرطبة

[3] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ج 1 ص 344

[4] محمد حسن العيدروس،العمارة والفنون الأندلسية,ص69

ويقول الشاعر محمد بن شخيص فى وصف هذه القنوات:

وقد خرقت بطون الارض عن نطف من أعذب الماء نحو البيت تجريها

طهر الجسوم إذا زالت طهارتها زى القلوب إذا حرت صواديها

قرنت فخرا بأجر قل ما اقترنا فى امة انت راعيها وحاميها[1]

وقد أزيلت هذه الميضآت عندما تحول المسجد إلى كنيسة بعد سقوط قرطبة فى يد المسيحيين فى النصف الاول من القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى.[2]

وقام الحكم المستنصر ببنى عدة مقاصير في الجامع، منها:

1- المقصورة التي بناها غربي الجامع، وعرفت باسم دار الصدقة، لأن الحكم جعلها مركزاً لتوزيع صدقاته على الفقراء.

2- المقصورة التي جعلها مكتبا يستخدمه خطباء الجامع والوعاظ والعمال.

3- المقصورة التي بناها قبالة الباب الغربي للجامع، يتخذها الفقراء الذين لابيوت لهم سكناً لهم.

4- وبنِيت حول الجامع ثلاثة مكاتب للمؤذنين الذين أجرى عليهم الرواتب ليعلموا أبناء المسلمين القرآن الكريم. وأنشأ الحكَم رصيفا جميلاعلى امتداد طول الجامع ليكون متنزها لأهل قرطبة واهتم المنصور بن أبي عامر بهذا الرصيف بعد الحكم. وتبلغ زيادات الحكم نحو ثلث المساحة الإجمالية للجامع.

---

[1] ابن عذارى,جـــ2,ص358

[2] جودة هلال، ومحمد محمود صبح، قرطبة فى التاريخ الإسلامى،ص 38

وحبس ريع جميع ماجرته إليه الورثة عن أبيه أمير المؤمنين في جميع كور الأندلس وأقاليمها. وجعل الحكم المستنصر جامع قرطبة جامعة من أشهر جامعات العالم.فهكذا اختتم الحكم اعمال البناء باقامة دار للصدقة فى غريبه لتكون مكانا لتوزيع صدقاته،كما أقام فى ساحة الجامع مكاتب لتعليم أولاد الايتام والمساكين.

الزيادة فى عهد المنصور بن ابى عامر (371 – 392 هـ /981 – 1002م)

الزيادة الأخيرة فى جامع قرطبة وبدأت فى عام 377هـ/987م

فقد شرع المنصور بن ابى عامر[1] فى تطوير وتوسيع المسجد الذى ضاق بالمصلين عام 377هـ/987م. فكان أول عمل به هو هدم الدور القائمة

[1] مشهور بلقب الحاجب المنصور هو عسكري وسياسي أندلسي ومستشارا الخلافة للخلافة الأموية في الأندلس، وحاجب الخليفة هشام المؤيد بالله والحاكم الفعلي للخلافة.ولد في قرية على مشارف طرش من عائلة ذات أصول يمنية، ذهب شاباً إلى قرطبة لتعلم الفقه. بعد بدايات متواضعة، دخل القصر وتدرج في المناصب في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، ونال ثقة زوجة الخليفة صبح البشكنجية أم الخليفة هشام المؤيد بالله، والتي كانت وصية على عرش ولدها بعد وفاة زوجها الحكم. بفضل هذه الحماية وكفاءته، قام بسرعة بجمع العديد من المناصب. فقد شغل خلال خلافة الحكم الثاني مناصب إدارية مهمة، مثل مدير دار سك العملة، ووكيلاً لعبد الرحمن أول أولاد الخليفة، ثم وكيلا لهشام بعد وفاة عبد الرحمن. وولي خطة المواريث، فقاضياً على أشبيلية .كانت وفاة هذا الخليفة عام 976 إيذانا ببدء عهد الخلافة الذي سيطر عليها. فقد عاونت صبح الحاجب المنصور على إقصاء جميع منافسيه، وهو وما أحسن استغلاله لأبعد مدى، بل وذهب إلى أبعد من ذلك بأن حجر على الخليفة الصبي، وقيّد سلطته هو وأمه بصفته حاجبا للخلافة، فقد مارس سلطة غير====

شرقي المسجد والتي ادخلها في زيادته ,[1] وتعويض أصحابها بما يرضيهم من مال اوعقار,[2] إذ يقول ابن عذارى "اول ما عمله أبي عامر قبل قيامه بأعمال

=عادية في الخلافة الأندلسية، في جميع أنحاء شبه الجزيرة الأيبيرية وفي جزء من المغرب العربي. وقام بتأسيس دولة داخل دولة وعُرفت تلك الدولة باسم الدولة العامرية.

وصفه ابن الأثير قائلاً: «وكان شجاعًا، قوي النفس، حسن التدبير، وكان محبًا للعلماء، يُكثر مجالستهم ويناظرهم، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه، وصنّفوا لها تصانيف كثيرة.» وقال عنه ابن خلدون:«وكان ذا عقل ورأي وشجاعة، وبصر بالحروب، ودين متين» وقال عنه ابن الخطيب: «وكان مهيبا وقورا، فإذا خلا كان أحسن الناس مجلسا، وأبرّهم بمن يحضر منادما ومؤانسا. وكان شديد القلق من التبسط عليه، والدالة والامتنان، لا يغفرها زلة، ولا يحلم عنها جريرة، ولم يكن يسامح في نقصان الهيبة، وحفظ الطاعة أحداً من ولدٍ ولا ذي خاصة، دعاه ذلك إلى قتل ولده عبد الله بالسيف صبراً بما هو معروف.» كما نقل محمد عبد الله عنان في كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" عن المؤرخ الإسباني منديث بيدال تعليقه على عصر المنصور قائلاً: «عاش الإسلام في إسبانيا أروع أيامه وأسطعها، وانتهى مسيحيي الشمال إلى حالة دفاع كانت دائماً مقرونة بالمحن، ولاح كأنهم لم يعيشوا إلا لتأدية الجزية والسلاح والأسرى والمجد للخلافة الأموية.» كذلك عرف عنه كرمه وكثرة إنفاقه، فكانت مائدته منصوبة دوما لمن يزور داره.

ابن خلدون، كتاب العبر،ص319، محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ص586

ابن عذارى،البيان المغرب،258

[1] كان زيادة المسجد من الناحية الشرقية حيث ان قصر الخلافة يجاور الجانب الغربي وكان جدار القبلة قريبا من نهر الوادي الكبير

[2] وذكر ابن بشكوال: أن المنصور كان يطلب من صاحب الأرض أو الدار ان يطلب ما يشاء ثمناً لها ثم يضاعفه له،حتى ان امرأة كان لها دار بها نخلة، فقالت لا أقبل عوضاً إلا مثل ذلك فامر بأن تشترى لها دار بنخلة حتى ولو ذهب فيها مال بيت المال.

المقرى جـــ2،ص84

الزيادة– تطبيب نفوس أرباب الدور والمستغلات الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بإنصافهم من الثمن أو بمعاوضته".[1]

وذكر ابن بشكوال "ان المنصور كان يطلب من صاحب الأرض أو الدار أن يطلب ما يشاء ثمنا لها ثم يضاعفه له حتى ان امرأة كان لها دار بها نخلة, فقالت لا أقبل عوضا إلا مثل ذلك فأمر بأن تشترى لها دار بنخلة حتى ولو ذهب فيها مال بيت المال".

ظل العمل فى هذه الزيادة عامين ونصف كان المنصور فيها يعمل بنفسه فى أحيانا كثيرة، واستخدم المنصور مجموعة من أسرى النصارى فى بناء الجامع.[2] كما ان المنصور قد جعل نواقيس الكنائس التى غنمها ثريات فى جامع قرطبة .[3]وجاء بها الاسرى النصارى يحملونها على أكتافهم حتى قرطبة.[4]

فقد زين المنصور الجامع بعدد من الثريات بلغت مائتين وأربع وعشرين ثريا,منها أربع ثريات كبيرة علقت فى البلاط الأوسط, وأكبرها علقت فى القبة الكبرى حيال المقصورة.[5]

---

[1] ابن عذارى ,البيان,جـــ2,ص429

[2] ذكر ابن بشكوال انه"من احسن ما عايشه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية أعلاج النصارى مصفدين في الحيد من أرض قشتالة وغيرها،وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا من رجال المسلمين إذلالا للشرك وعزة للإسلام"

المقرى جـــ2،ص84

[3] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس,ص392

[4] المقرى،نفح الطيب،ج2،ص146

[5] يوسف فرحات,المساجد التاريخية الكبرى,ط1,دار الشمال,لبنان,1993,ص86

ويغلب الظن ان المنصور احضرها من كنيسة شنت ياقب [1]بكومبو ستيلا فى غزوته الثانية والأربعين لجليقية عام 387هـ/997م، هدم جيشه مصانع المدينة وأسوارها وكنيستها وعفى آثارها، ولم ينس المسيحيون عمله هذا فظلت ذكراه عالقة بإذهانهم حتى اذا ما فتح فرنادو الثالث قرطبة، أمر المسلمين بدوره بحمل نواقيس شنت ياقب إلى كومبو ستيلا على ظهورهم.[2]

أضاف المنصور ثمانية اروقة على المسجد من الجهة الشرقية ، وذلك نظراً لاتصال الجانب الغربى منه بقصر الخلافة.[3]واصبح المسجد يتألف بعد تطوير

---

[1] كنيسة شنت ياقب: كانت كعبة الحجاج في العصور الوسطى ، شنت ياقب هو القديس يعقوب وتذكر الاسطورة انه قتل شهيدا على يد هيرود، فحمل تلاميذه جثته في مركب، وجازوا به البحر الأبيض إلى المحيط ثم حملتهم الرياح شمالا حتى انتهوا إلى موضع في قاصية جليقية، ودفنوا جثمان القديس في سفح تلال هنالك. ومضت العصور وغاص القبر ولم يعلم مكانه حتى كانت سنة835م حيث زعم القس تيودمير اسقف إيريا أنه اكتشف القبر، هداه إليه ضوء نجم، فذاعت الاسطوره في الحال، وصدقها المؤمنون ذون تر١١،وهرعوا إلى البقعة المقدسة، وأنشئت فوقها كنيسة، وقامت حول المزار مدينة نمت بسرعة(مدينة شنت ياقب المقدسة)وغدا القديس ياقب حامى اسبانيا كلها وعدا قبره من أشهر المزارات النصرانية في سائر أوروبا. وكانت مدينة شنت ياقب عاصمة لمملكة جليقية النصرانية .وفى عام 387هـ/997م قام المنصور الحاجب بغزواته في شمال غرب اسبانيا وقصد مدينة شنت ياقب، وهدم كنيستها العظمى وصروحها ولكنه احترم قبر القديس فلم يمسه بسوء. وعاد إلى قرطبة مثقلا بالغنائم، ومنها عدة من أبواب صروح شنب ياقب الفخمة. جعلت أبواباً لمسجد قرطبة الجامع. محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية أثرية، ص344

[2] السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس,ص27

[3] المقرى،نفح الطيب،ج1،ص358 ، محمد حسن العيدروس،العصر الاندلسى العمارة والفنو الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص71

المنصور من تسع عشر بلاطة. ففقد المسجد الجامع تناسقه واتزانه وتعادل اجزائه, وأصبح المحراب متطرفا عن وسط جدار القبلة بعد ان كان يقع فى محور الجامع,[1]كما قام المنصور بهدم ابواب الجامع من الجهة الشرقية قبل أن يبدأ فى التوسع. [2]وفتح فى الجدار الشرقى ببيت الصلاة القديم ثغرات واسعة تصل الزيادات الجديدة وبيت الصلاة القديم .

اما الجدار الشرقى الجديدة للجامع فقد فتح فيه المنصور ثمانية أبواب ,فأصبح عدد الأبواب المؤدية إلى بيت الصلاة ستة عشر بابا يضاف إليها خمسة أبواب على مجنبات الصحن, فيكون مجموع ابواب الجامع النهائية إحدى وعشرين بابا. وفى الجهة الشرقية تسعة أبواب، منها واحد كبير للنساء يشير إلى مقاصيرهن، وفى الجهة الشرقية تسعة أبواب، منها لدخول الرجال بابان كبيران، وباب لدخول النساء إلى مقاصيرهن. وليس لهذا الجامع فى القبلي سوى باب واحد بداخل المقصورة المتخذة فى قبلته، متصل بالساباط المفضي إلى قصر الخلافة، منه كان السلطان يخرج من القصر إلى الجامع لشهود الجمعة.[3]وكل هذه الابواب تكسوها صفائح من النحاس الأصفر ومخرمة تخريما رائعا .(لوحة رقم10)

---

[1] يقع محور الجامع من القبلة جنوبا إلى باب الغفران شمالا, مارا بالبلاط السادس ابتداء من غرب الجامع.

[2] وكان السبب في اختياره للجهة الشرقية، اتصال الجانب الغربى بقصر الخلافة واقتراب الجهة الجنوبية التى اعتاد خلفاء بنى أمية الزيادة منها من نهر الوادى الكبير.

السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس,ص26

[3] المقرى ،نفح الطيب،جـــ1،ص550

كذلك وسع المنصور صحن المسجد بما يوازى ثلث المساحة، واحاط كل هذا بسور شامل.[1]

بلغ طول المسجد بعد زيادة المنصور بن أبى عامر ثلاثين وثلاثمائة ذراع[2] واصبح عرضه ثلاثين ومائتى ذراع[3].فأصبحت مساحة المسجد تزيد عن خمسة أفدانة ، وبيت الصلاة فيه يعد من أكبر بيوت الصلاة فى المساجد الإسلامية حجما وأكثرها اتساعا، ويتكون سقف بيت الصلاة فى الأصل من لوحات خشبية مثبتة على عوارض تمتد عرضا بأعلى البلاطات وتعلوها بامتداد البلاطات أسطح منشوريه الشكل مكسوة بالقرميد، ويستند السقف إلى أعمدة مربوطة بأقواس مزدوجة تمتد عموديا على جدار القبلة، ولقسم من هذه الأعمدة قواعد مختلفة الأحجام بغية الحصول على منسوب موحد لسقف الجامع.[4](لوحة رقم6)

وأصبحت بوائكه تسع عشرة من الشرق إلى الغرب، وإحدى وثلاثين من الشمال إلى الجنوب. وسارت ابواب المسجد واحد وعشرين باباً وقد كسيت بالنحاس الأصفر اللامع الرائع الصنع، ويذكر أن الباب الأوسط كان مرصعاً بصفائح من الذهب، وبأعلاه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب.[5]

---

[1] محمد كمال شبانة، الاسلام فكر وحضارة،دار العالم العربى،الطبعة الاولى،القاهرة،2008،ص316

[2] الذراع يساوى 58سم

[3] جودة هلال، ومحمد محمود صبح، قرطبة فى التاريخ الإسلامى ،ص 38

[4] خالد السلطانى، عمارة مسجد قرطبة...التأسيس المفاهيمى للعمارة،ص

[5] محمد عبد الله عنان،الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا ،ص22
جودة هلال، ومحمد محمود صبح، قرطبة فى التاريخ الإسلامى، ،ص40

وبلغ عدد سوارى المسجد بعد هذه الزيادة 1417 سارية، [1]وبلغ عدد من يخدم فى المسجد من الائمة والمقرئين الاكفاء والمؤذنين والخدم والموقدين وغيرهم 159 شخصاً.[2] وكان المسجد ينار فى الليل بسبعمائة وأربعة آلاف من المصابيح، ويستنفد فى كل سنة أربعة وعشرين ألف رطل من الزيت، وعشرين ومائة رطل من العنبر والعود.أما مصباح المحراب فكان مصنوعا من الذهب الخالص، ويقال إنه كان بالمسجد تنور من نحاس أصفر يتسع لألف مصباح. وكان يقوم على خدمة المسجد حوالى ثلاثمائة رجل لإيقاد البخور من العنبر والعود, وإعداد الزيت العطر لإضاءة عشرة آلاف قتيل للقناديل.وبنيت دور الى الجانب الغربى من المسجد لنزول فقراء المسافرين وأبناء السبيل .[3]

وقد احتفظ المسجد بصورته تلك دون أن يطرأ عليه اى تغيير حيث لم تضف إليه اى إضافات فيما عدا أعمال الترميم اللازمة وخاصة فى عصرى المرابطين والموحدين وظل كذلك حتى سقطت قرطبة فى يد فرناندوا الثالث ملك قشتالة633هـ/ 1236م فتحول إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة سانتا ماريا العظمى او الكبرى.(شكل رقم1،2)

---

[1] لكن مع تحول الجامع إلى كاتدرائية أدخلت تغييرات بنائية فى وسط بيت الصلاة وفق طراز العمارة القوطية،تقلص على إثرها عدد أعمدة الجامع إلى حوالى تسعمائة عمود ميمون الموساوى،منتجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة، المجلة الالكترونية متعددة المعرفة لنشر الابحاث العلمية والتربوية،العدد العاشر،2019،ص6

[2] محمد حسن العيدروس،العصر الاندلسى العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة وطليطلة وقرطبة،ص67

[3] ستانلى لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة على الجارم بك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012،ص95

العقود فى مسجد قرطبة

تميز مسجد قرطبة بكثرة العقود المستحدمة فيه،تم استخدام اشكال عديدة منها العقود المزدوجة عقود حدوة الفرس، ومنها المفصصة بثلاثة فصوص وخمسة وسبعة وكذلك العقود المتشابكة والمتداخلة والمسننة

(عقود حدوة الفرس المزدوجة،المدببة، المفصصة والمتقاطعة)

العقود المزدوجة

وقد وزعت الأقواس المركبة (حدوة الفرس يعلوها نصف دائرة) على أعمدة من الطراز القوطي والروماني وتيجان من طرز متغايرة أيضاً، فتلاقى التقليدان الشرقي والغربي وتمثلت روح الإسلام في ذاك التوازن المدهش لتضفي على المسجد شفافية خاصة.

فقد عقدت بين الأعمدة الرخامية على أعلى رؤوسها عقود متجاورة على شكل حدوة الفرس، تقوم مقام الأوتار الخشبية، وظيفتها ربط الأعمدة فيما بينها، كما أقيمت فوقها عقود نصف دائرية تحمل الجدران التي تتكئ عليها السقف، وتزيد في الوقت نفسه من ارتفاع السقف، وتستند العقود على كوابيل ملفوفة مؤلفة من ثلاثة أو أربعة فصوص متراكبة الواحد فوق الآخر، ويتناوب في جميع العقود العليا والسفلى اللونان الأصفر الشاحب والأحمر، نتيجة لتناوب الحجارة والآجر، بحيث يتألف من هذا التعاقب سنجة حجرية، وثلاثة صفوف متلاحمة من الآجر الأحمر تؤلف سنجة أخرى.[1](لوحة رقم2)

[1] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضة الخلافة فى الاندلس،جـ1،ص365

تميز بناء مسجد قرطبة الجامع، باستخدام الدعامات ،لكى تحمل بناء العقد الثانى،وقد اتبع هذا النظام فى كل الزيادات،إذ أن وضع الدعامات فوق الاعمدة يدل على جرأة البناء حيث جعل السقف والأعمدة والدعامات تشبه جسرا معلقا وان ارتكاز السقف على هذه الدعامات التى تقوم على أعمدة صغيرة يعد ابتكارا معماريا جريئا نفذ بطريقة زخرفية بالغة الذكاء.[1]

وكل عقد من العقود الحدوية المتراكبة قوامه سبع قطع من الحجر المهذب الأبيض، وثمانية صفوف من الآجر الأحمر،تتناوب فيما بينها على وتيرة توحى بتعددية ظاهرة وحركية منتظمة.وقد أضفى هذا التناوب فى الألوان على أروقة بيت الصلاة طابعا جماليا جذابا ومتفردا لم يكن له نظير فى اى بناء سابق.وعلى نحو مغاير، تقوم فى محيط المحراب عقود مفصصة متقاطعة فى ارتقائها إلى مستوى قريب من السقف حيث تتكامل وحداتها البنائية مع تعقيدات الشكل الهندسى لنظام القباب ذات العروق المتقاطعة .

وهكذا قد تم رفع سقف بيت الصلاة إلى ارتفاع مضاعف،إلى حدود تسعة أمتار من أرضية المسجد إلى سقفه الخشبى(المصنوع من خشب الأرز) ورفع السقف إلى هذا الحد يعد إنجازا موفقا ومميزا من الناحيتين التقنية والجمالية،مما سمح علميا بتوسيع زواية وضوح الرؤية من مواقع مختلفة عبر ارجاء بيت الصلاة الفسيحة.

[1] العزى،مسجد قرطبة،ص83

كرستى،الفنون الفرعية الإسلامية،ص171

العقود المفصصة

خلال التوسعة ما قبل الاخيرة استخدام لاول مرة نظام العقود المفصصة والمتقاطعة، وقد تراوح عدد فصوص هذا لصنف من العقود فى الغالب بين ثلاثة وخمسة فصوص،نذكر من بينها على سبيل المثال المشيدة فوق قوس المحراب ،وايضا داخل تجويفه وهى عقود ثلاثية الفصوص،كما تجدر الإشارة كذلك إلى عقود زوايا القبة الرئيسية وهى عقود خماسية الفصوص،على نحو مختلف استخدمت فى محيط صالة المحراب عقود مفصصة متقاطعة،وفى الجزءالعلوى من مدخل بلاطة المحراب شيد عقد زخرفى مسنن مكون من ثلاثة عشرفصا غيربارز بشكل كاف .واستخدام عقود مفصصة متعامدة،وهذه الاخيرة ظهرت لاول مرة فى العمارة الاندلسية فى القرن الرابع هجرى/العاشر الميلادى خلال توسعة الحكم الثانى.[1](لوحة رقم9)

العقد المدبب او المنكسر

يظهر فى زيادة المنصور بن أبى عامر لا سيما فى العقود التى تعلو النوافذ الرخامية.واصل العقد المنكسر مشرقى وامثلته الحجرية نشهدها فى المنشآت الاموية مثل قبة الصخرة وقصر الحير والجامع الاموى.[2]

وفي جامع ابن طولون بمصر مئذنة الجامع بها عقودا قرطبية من النوع الشائع في جامع قرطبة . القنطرة التى تصل بين الجامع تستند على عقدين متجاوزين

[1]ميمون الموساوى،منتجليات الهندسةالمعمارية لمسجد قرطبة، المجلة الالكترونية متعددة المعرفة لنشر الابحاث العلمية والتربوية،العدد العاشر،2019،ص7

[2] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضة الخلافة فى الاندلس،جـ1،ص371

على الطراز القرطبى وباسفل القنطرة كوابيل من نفس نظام كوابيل عقود جامع قرطبة [1]

جامعة قرطبة

لم يقتصر دور مسجد قرطبة على العبادة فقط، وإنما كان أيضا جامعة علمية تعد من أشهر جامعات العالم آنذاك، واكبر مركز علمى فى أوروبا، ومن خلاله انتقلت العلوم العربية إلى الدول الاوربية على مدى قرون, وكان يدرس فى هذه الجامعة كل العلوم. وكان يختار لها أعظم الأساتذة، وكان طلاب العلم يفدون إليها من الشرق والغرب على حد سواء، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. وقد احتلت حلقات الدرس والعلم أكثر من نصف المسجد, وكان للشيوخ راتب جيد ليتفرغوا للدرس والتأليف، وخصصت أموال للطلاب ،ومكافآت ومعونات للمحتاجين .[2]

و فى عهد عبد الرحمن الناصر327هـ /939م وصلت نسبة التعليم في قرطبة إلى 100%فى حين كانت اوروبا ما تزال تعانى من الجهل والتأخر. وخلف الناصر ابنه الحكم المستنصر 366هـ،وامتاز عصره بازدهار العلوم والآداب بصورة كبيرة، وكان يبعث رجالا بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس ،وأنشأ المكتبة الأموية فى قرطبة، والتى وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف مجلد، وقد شهد التعليم فى عهد الحكم نهضة عظيمة.

---

[1] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس, ص 400
كمال عنانى إسماعيل،أصداء جامع قرطبة على عمارة مصر،أعمال المؤتمرالسادس عشر للإتحاد العام للآثاريين العرب دراسات فى آثار الوطن العربى،2013،ص1100

[2] راغب السرجانى, قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط, مؤسسة اقرأ,القاهرة,2011,ط1,جـ1,ص314

فانتشرت بين أفراد الشعب معرفة القراءة والكتابة. بينما كان لا يعرفها إلا أرفع الناس فى اوروبا.[1]

وعمرت خزائن الاندلس فى عهده بالكتب الكثيرة والمؤلفات النادرة ، وكان ينفرد الحكم المستنصر عن غيره من الحكام فى هذا الميدان بانه كان يجتهد فى استقطاب العلماء الافذاذ الى قرطبة الذين كانوا يحاضرون فيه شتى ألوان المعرفة والثقافة ،من علوم دينية ولغوية وطبيعية وكيميائية وطب وفلك ورياضيات وجغرافيا ورحلات، وما الى ذلك من الفنون والآداب. ويروى المؤرخون ان الخليفة الحكم كثيرا ما كان يعقد حلقات دروس فى قصره مع العلماء والادباء ويناقشهم فى جو علمى بحت.[2]

فأصبح اسم قرطبة يقترن بالعلم والعلماء ولقد اختصر الشاعر عظمة العلم فى قرطبة فى هذين البيتين:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة منهن قنطرة الوادى وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم أعظم شىء وهو رابعها[3]

[1] تركى محمد نصر, مسجد قرطبة الجامع فى الاندلس, مجلة الوعى الإسلامي, وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية, الكويت, العدد (537)جمادى الأولى 1430هـ-مايو-2010,ص67

[2] محمد كمال شبانة، الاندلس دراسة تاريخية حضارية، ط1،دار العالم العربى،القاهرة، 2008 ،ص134

[3] وديع أبو زيدون، تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامى حتى سقوط الخلافة فى قرطبة ,ص248

فاستطاعت قرطبة أن تخرج للمسلمين وللعالم العديد من العلماء فى جميع المجالات وكان منهم الزهراوى(404-325هـ/936-1013م)أشهر جراح وطبيب وعالم بالأدوية وتركيبها، ويذكر ان اول إجازة فى الطب البشرى صدرت من جامع قرطبة.[1]

-الإمام بن رشد (520 - 595 هـ/1126-1199م)،الفيلسوف الأندلسي المسلم.درس الفقه والأصول والطب والرياضيات والفلك والفلسفة.

-أبو عمر بن عبد البر الأندلسى القرطبى المالكى (463هـ/1071م) شيخ الإسلام,صاحب كتاب الاستذكار, قال فيه ابن حزم "لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله،فكيف احسن منه؟"

-الإمام على بن حزم القرطبى, الحافظ الفقيه، صاحب "المحلى" الذى قال فيه العز بن عبد السلام"ما رأيت فى كتب الإسلام فى العلم مثل المحلى لابن حزم.[2]

---

[1] عمد الاطباء فى الاندلس للمنهج التجريبى إضافة إلى ما وجدوه فى الكتب،فقد أجروا التجارب على النباتات والحيوانات وحضروا الادوية المناسبة للأمراض التى اكتشفوها فى مرضاهم وشخصوا كثيرا منها،وقد راعت الدولة الاسلامية فى الاندلس تلك التجارب وهيأت الجو المناسب لزيادتها فاشتهرت خوانة الطب فى عهد الحكم المستنصر،حيث العلاج يوزع على المرضى مجانا.حسين كريم عجيل،الحياة العلمية فى مدينة بلنسية الإسلامية(494-92هـ) مؤسسة الرسالة بيروت،1976،ص176 ، أحمد فؤاد باشا،التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تأريخ العلم والحضارة،ط1،مصر،1983،ص172

[2] انظر : عبد الكريم خليفة، ابن حزم الأندلسي، دار العربية ومكتبة الأقصى، بيروت ، ص14،15 ؛ عبد اللطيف شرارة ،ابن حزم رائد الفكر العلمى ،منشورات المكتب التجارى ،بيروت ،(د.ت)، ص36،37 ؛ سهير فضل الله، سيرة ابن حزم، ص21.

-الشريف الإدريسى محمد بن ادريس, احد كبار الجغرافيين فى التاريخ ،كما انه كتب فى التاريخ والأدب والشعر والنبات, ودرس الفلسفة والطب والنجوم.

-المؤرخ احمد بن موسى الرازى, من أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية فى الأندلس، له كتاب "الاستيعاب فى أنساب اهل الأندلس".

-أبو القاسم عباس بن فرناس، المخترع الأندلسى الشاعر، كيميائى،فيزيائى،وفلكى، وطبيب، وهو أول من اخترع دبابة عسكرية فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وعرف ب"أول طيار فى التاريخ".[1]

وظلت قرطبة تنعم بهذا التفوق على سائر مدن اسبانيا زمنا الى ان سقطت الخلافة الاموية عام404هـ/1013م .ورغم ذلك استطاعت قرطبة أن تحتفظ ببعض تفوقها الثقافى،حتى سقطت بيد فرناندوا الثالث 633هـ / 1236م ،وحول مسجدها الجامع إلى كاتدرائية وهجر قرطبة كثيرمن المسلمين .[2]

[1] المقرى ،نفح الطيب،ج1،ص374،ابن سعيد،ج1،ص333

[2] تركى محمد نصر, مسجد قرطبة الجامع فى الاندلس,ص68

وقال فى رثائها:

واين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شأن[1]

وظل مسجد قرطبة كعبة القصاد, يجذب إليه طلاب العلم من كل مكان من الشرق والغرب، من مسلمين ومسيحيين، وذاع ذكره بين الناس، ونافس المدرسة النظامية فى بغداد، والأزهر فى مصر.حتى سقطت قرطبة فى يد فرديناند الثالث وبدأ محو معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس.

سقوط قرطبة

فتح المسلمون الأندلس والتي كانت تشمل معظم أجزاء إسبانيا باستثناء بعض المناطق الشمالية ، فإن المسلمين لم يفرضوا سلطانهم تماماً على هذه النواحي لوعورة مسالكها وبرودة مناخها، فأهملوا جانبها زهداً فيها واستهانة بشأنها.

من هذه المناطق نبتت نواة دولة إسبانيا المسيحية. كانت الممالك النصرانية خلال القرن السادس الهجرى/االثانى عشرميلادى، خمساً،هى قشتالة وليون وأراجون و ناڤارا والبرتغال.وكانت هذه الممالك النصرانية الخمس دائمة الخلاف والتنافس،هذا فضلا عما كان يعانيه كل منها من الثورات والحروب الداخلية حول وراثة العرش.ورغم ذلك كانت هذه الممالك المتنافسة تجتمع دائما تحت علم واحد هو علم النضال ضد اسبانيا المسلمة.[2]

مع سقوط الخلافة الأموية سنة 407هـ/1305م اصبحت قرطبة تعاني من الإهمال بعد أن فقدت مكانتها وبريقها، إذ انتقلت العاصمة إلى إشبيلية، وكان

[1] للشاعر أبو البقاء الرندي

[2] محمد عبد عنان،نهاية الاندلس،ص86

أهلها مشهورين بالثورة والتمرد ولكنهم ليسوا على قلب رجل واحد تجمعهم الثورة وتفرقهم الأطماع والأهواء، فتارة يبايعون ابن هود[1]، وتارة ابن الأحمر[2]، وتارة بلا قائد أو بيعة.[3]

[1] ابن هود:هوأبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامى الذى لقب (أمير المسلمين سيف الدولة والمتوكل على الله) كان يسكن مدينة مرسية ومن الأجناد فيها، حيث بدأ نشاطه سنة 625هـ.دخلت تحت طاعته عدة مدن أندلسية:مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية وغيرها.عمل ابن هود على إنهاء سلطان الموحدين فى الأندلس الذين عجزوا فى هذه الفترة عن الوقوف.فى وجه الاخطار وهجمهات اسبانيا النصرانية .لكنه عجز عن الاحتفاظ بالأندلس وذكر المؤرخون انه قليل المبالاة بالأمور،لم ينصر له جيش،ولا وفق له رأى ،لغلبة الخفة عليه واستعجاله الحركات ونشاطه إلى لقاء الأعداء من غير كمال استعداد.توفى ابن هود ،فى مدينة المرية أوائل سنة 635هـ.وهو يعد نفسه لإنقاذ مدينة بلنسية.

المقرى،نفح الطيب،ج1،ص215. الورض المعطار،ص118،الاحاطة،ج1،ص141-142

[2] ابن الاحمر:هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر،الملقب(الشيخ والغالب بالله)استطاع ابن الأحمر أن يكون قوة احتفظت ببعض المناطق فى جنوبى الأندلس وتأسيس ممكلة غرناطة اخرممالك الأندلس عمرت مملكة غرناطة رغم الصعوبات المتعددة من الداخل والخارج ما يزيد على قرنين ونصف.قبل تسليمها بعد حصار طويل خربت خلاله المزارع والمحاصيل وتضور الناس جوعا وقطعوا كل أمل.جرى ذلك سنة 897هـ/1492م،على شروط اتفق عليها،نقضت شيئا فشيئا على مراحل بعد حين

المقرى،نفح الطيب،ج1،ص446-447

عبد الرحمن حجى،التاريخ الأندلسى من الفتح حتى السقوط،ص515 ،568

[3] عبد عبد الرحمن حجى،التاريخ الأندلسى من الفتح حتى السقوط،ص274

في سنة 633هـ/1236م، أرسل «فرناندو الثالث»[1] ملك قشتالة سرية استطلاعية من الفرسان لاستكشاف تحصينات المدينة، واستعدادات أهلها الدفاعية، وكانت مدينة قرطبة في ذلك الوقت تنقسم إلى خمس مناطق أو أحياء متعاقبة، وبين كل منطقة وأخرى، سور فاصل.[2] وكانت المنطقة الأولى الواقعة شرقي قرطبة، تعرف بالربض الشرقي أو " الشرقية " وتجتمع باقي المناطق فيما يسمى " بالمدينة "، وهي تقع غربي " الشرقية " وكلتاهما الشرقية والمدينة، تقع على الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير.

فلما وصل الفرسان القشتاليون وهم فئة قليلة، لا تحدد لنا الرواية عددها، وربما كانت تضم بضع عشرات – إلى مشارف " الشرقية " وضعوا في الحال خطة اقتحامها. وفى رواية ألفونسو الحكيم أن الفرسان القشتاليين أسروا بعض المسلمين من الساخطين على زعمائهم، وعلموا منهم أن المدينة محروسة بشدة، وتفاهموا معهم على إحداث ثغرة في سور الشرقية، واستطاعوا بهذه الطريقة أن يقتحموا السور، وأن يستولوا على الأبراج في ليلة حالكة عاتية الريح.[3]

---

[1] فرناندو الثالث (5 أغسطس 1199 – 30 مايو 1252) ملك قشتالة منذ عام 1217م حتى وفاته وملك ليون منذ عام 1230م حيث كانت مملكة ليون معروفة بمملكة أستورياس حتى 924م، عندما أصبحت مملكة ليون. وبقيت تحت هذا الاسم حتى أدمجت مع مملكة قشتالة في 1230م، بعد أن أصبح فرناندو الثالث ملك مشترك للمملكتين.وهو ابن ملك ليون ألفونسو التاسع وبرينغيلا ملكة قشتالة.

[2] الحميرى،الروض المعطار ،ص 153

[3] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3 عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس،القسم الثانى عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط2،مكتبة الخانجى،القاهرة،1990،ص418

وفي الحال وقع الهرج بالمدينة، وتقدم المدافعون لمهاجمة النصارى، وقتل عدد من الجانبين، ولكن النصارى لبثوا صامدين في الأبراج، وأرسلوا في الحال يطلبون الإمداد. فى 3شوال سنة 633 هـ / 9يونيو1236 م غدر النصارى شرقية قرطبة، وسلم الله عز وجل النساء والاطفال حتى لحقوا بالغربية، وبقى الناس معهم في قتال شديد.[1]ووصل نداء القشتاليين إلى إخوانهم على الحدود بسرعة، وفي الحال هرع اثنان من قادة الحدود، ، وتبعهما أساقفة الكنائس القريبة من قرطبة وسار في أثرهم آخرون. ووصلت الانباء إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة، وهو يرتبط أولا مع ابن هود باتفاق الهدنة،[2] وقرطبة تدين بطاعة ابن هود، وقرطبة مدينة عظيمة، تزخر بالسكان والمدافعين، ولا يتأتى افتتاحها إلا بقوات ضخمة، ومن جهة أخرى فإن ابن هود قد يضطر إلى إنجادها بقواته، خصوصا وأن قرطبة تعتبر في نظر المسلمين كبرى قواعد الأندلس، ولها في نفوسهم مكانة خاصة.[3]

فلم يرى بالأخص في مهاجمة قرطبة نقضا لعهوده مع ابن هود وجاء فرناندو بنفسه وحاصر المدينة بقواته، ونصب ملك قشتالة محلته قبالة قنطرة قرطبة التي تؤدى إلى طريق إستجة. وأخذ في الحال في وضع خطة للاستيلاء على

---

[1] روض القرطاس ، ص 183

[2] اورد صاحب الروض القرطاس نصا موجزا عن تلك الهدنة خلال حديثه عن حوادث سنة 633هـ .وذكره لسقوط قرطبة يقول فيه"وفيها (اى سنة 633هـ) انعقد الصلح بين ملك قشتالة،وابن هود لأربعة أعوام بأربع مائة الاف دينار فى السنة"
روض القرطاس،ص183

[3] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3،القسم الثانى عصر الموحدين وانهيار الاندلس الكبرى،ص420

المدينة.[1] أخذ فرناندو الثالث في تشديد الحصار على المدينة،وقطع كل اتصال من جهة البر، ومن جهة الوادي الكبير، حتى لا تستطيع أن تتلقى أية مؤن أو إمداد من الخارج، وحتى لا يستطيع أن يدخلها أو يخرج منها أحد. واستمر هذا الحصار المرهق دون هوادة، حتى نضبت موارد المدينة وأقواتها أو كادت. حتى أوشك أهلها على التسليم وارسلوا إلى مفاوضة ملك قشتالة في التسليم على أن يؤمنوا في أنفسهم، وفيما يستطيعون حمله من أموالهم ووافق ملك قشتالة على هذا الشرط، ، ولكنهم عادوا وقويت نفوسهم بعدما علموا أن مؤن الجيش القشتاليين على وشك النفاد. وشعر فرناندو أن لابن هود يداً في الأمر، فاستغل العداء المستحكم بين ابن هود وابن الأحمر لصالح أغراضه، وأرسل لابن الأحمر يعرض عليه المحالفة والمعاهدة على ابن هود، ووافق ابن الأحمر. انهارت معنويات أهل قرطبة عندما وصلتهم أخبار معاهدة فرناندو لابن الأحمر، واضطروا للموافقة على التسليم.[2]

وكان بعض الغلاة من صحب ملك قشتالة من الأحبار والأشراف، يرون رفض التسليم واقتحام المدينة، وقتل كل أهلها المسلمين، ولكن ملك قشتالة ومعه فريق آخر من مستشاريه، كان يرى أن هذا الإجراء قد يدفع أهل المدينة إلى اليأس، وتخريب المدينة، ومسجدها الجامع، وتحطيم سائر ذخائرها وثرواتها. وفي نفس الوقت عقدت بين ملك قشتالة، وابن هود هدنة جديدة،

[1] J. Gonzalez: ibid ; p. 76-78 ; M. Lafuente: Historia General de Espana ; T. IV. p. 43

[2] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3،القسم الثانى عصر الموحدين وانهيار الاندلس الكبرى،ص423

لمدة ستة أعوام يلتزم فيها ابن هود بأن يدفع إتاوة قدرها اثنين وخمسين ألف مرافيدي [1]على ثلاثة أقساط سنوية.[2]

وما كاد يقع تسليم المدينة حتى ترك أهل قرطبة دورهم، وأوطانهم، وغادروا مدينتهم العزيزة التالدة، حاملين ما استطاعوا من أمتعتهم، وقد برح بهم الجوع والحزن، وتفرقوا في أنحاء الأندلس الأخرى.[3]

تكررت هذه الطريقة من الدفاع المستميت ونفاذ كل وسيلة بعد حرب الجوع والعطش حتى يضطر الناس إلى الاستسلام،وبها تم سقوط عدد من المدن الأندلسية وقواعدها.فلم تهزم هذه المدن أوتسقط فى حرب تتكافأ فيها الأسباب أو الفرص،على الأقل.[4]

وفي يوم الأحد 23 شهر شوال سنة 633هـ/ 29 يونيه سنة 1236 م، دخل الجند القشتاليون مدينة قرطبة، وفي الحال رفع الصليب على قمة صومعة جامعها الأعظم، ودخل أسقف دى اوسما إلى الجامع، وحول في الحال إلى

---

[1] المرافيدى المرابيدي (بالإسبانية: (Maravedí) هو اسم أطلق على عدة عملات معدنية كانت متداولة في شبه الجزيرة الإيبيرية بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين. شتق اسم المرافيدي من كلمة "مرابطي"، نسبة إلى الدينار الذهبي المرابطي الذي كان يسك في الأندلس إبان حكم دولة المرابطين.

[2] J. Gonzalez: ibid ; p. 79 & 80 y notas

محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3،القسم الثانى عصر الموحدين وانهيار الاندلس الكبرى،ص424

[3] البيان المغرب ،ص 322، وابن خلدون ،ج 4 ،ص 171، وروض القرطاس ،ص 183، والروض المعطار ص 158، ونفح الطيب ،ج 2 ،ص 585.

[4]عبد الرحمن حجى،التاريخ الأندلسى من الفتح الأسلامى حتى سقوط غرناطة ،ص514-515

كنيسة. وفي اليوم التالي،يوم الاثنين 24شوال 633هـ / 30 يونيو 1236م. دخل فرناندو الثالث ملك قشتالة الى مسجد قرطبة الجامع و استقبله الرهبان و رجال الدولة و اعلن تحويل المسجد الى كاتدرائية القديسة مريم . وأمر بنزع الأجراس التى كان أحضرها الحاجب المنصور من كنيسة سانتياجو و أن يحملها أسرى المسلمين ويعودوا بها الى سانتياجو. [1]
و سقطت قرطبة عاصمة الأندلس . و أصبحت تحت حكم ملك قشتالة النصراني . بعدما تخلى عن الدفاع عنها إبن هود ملك فالنسيا في صراعه ضد إبن الأحمر ملك غرناطة[2]. وكان سقوط قرطبة نذيرا بما انتهت إليه الأندلس من بالغ الضعف والفوضى.[3]

تحويل مسجد قرطبة الى كنيسة كاثوليكية

تحول مسجد قرطبة إلى كاتدرائية

وبعد استيلاء القشتاليين على قرطبة و تحويل مسجد قرطبة الجامع إلى كنيسة على يد الاسقف دى اوسما باسم كنيسة سانتا ماريا العظمى.[4]وبدأ العمل على انشاء العديد من المصليات داخل المسجد منها

[1] محمد عبد الله عنان،دولة الاسلام فى الاندلس،ج3،ص425

[2] محمد عبد الله عنان،دولة الاسلام فى الاندلس،ج3،ط4, مكتبة خانجى ،القاهرة ص411-425

[3] محمد عبد الله عنان،نهاية الأندلس،ص90

[4] Torres Balbas,Nuevos datos sobre la mezquita de Cordoba cristianizada,al-Andalus,Vol.XIV,1949,p455
Castejon,Gula de Cordobap62

مصلى سان كليمنتي

واتخذ فيه الملك فرناندو الثالث المصلى المعروف بسان كليمنتى فى الجزء الجنوبى من زيادة المنصور لصق جدار المحراب.[1]

المصلى الملكى (لوحة رقم 17)

عام 656 ه/1258م حول الاسقف دون فرناندو دى لاميسا فى عهد الملك الفونسو العاشر القبة المخرمة الكبرى التى تقوم على مدخل البلاط الاوسط من زيادة الحكم المستنصرالى مصلى كبير.[2]

مصلى فيلافسيوسا (لوحةرقم 18)

وفى عام772هـ/ 1371م أقام الملك انريكى الثانى ملك قشتالة المصلى الملكى المعروف بمصلى سان فرناندو فى الاسطوانة الواقعة شرقى القبة الكبرى المخرمة, وكان الملك فرناندو الرابع المتوفى فى جيان سنة712هـ/ 1312م .قد دفن فى هذا المصلى,كما دفن انريكى الثانى ايضا ابنه الأمير الفونسو الحادى عشر الذى لقى مصرعه فى حصار جبل طارق فى سنة751هـ/ 1350م.وأقيمت بأعلى المصلى قبوة رائعة من الضلوع المتقاطعة التى تغطيها المقرنصات الزخرفية الدقيقة.وكسيت جدران هذا المصلى بزخارف مدجنة محفورة فى الجص تشبه زخارف قصور الحمراء

[1] Torres Balbas, La Mezquita de Cordoba y Madinat al-zahra,Madrid,1952,p100

[2] Amador de los Rios,Inseripeiones arabes de Cordoba,pp104-105 Castejon,Gula de Cordoba p39

السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس،ص398

وقاعات قصر اشبيلية, وهناك زخارف مدجنة [1]تزين الباب الرئيسي للجامع من الجهة الشمالية (باب الغفران)تنسب الى انريكى الثانى.[2]

مصلى سان اوجيستين

وفى سنة889هـ/ 1384م أقيم مصلى سان اوجيستين, وتحول الاسطوان المقابل للمحراب إلى مصلى. ولكن حتى ذلك الوقت كل ما طرأ على الجامع لم يكن الا اضافات طفيفة لم تمس جوهر البناء.

ولكن منذ أواخر التاسع هجرى/القرن الخامس عشر الميلادى بدات التغييرات الاساسية تغير بنية قسم كبير من الجامع, ففى سنة894هـ/ 1489م أمر الاسقف انييجو مانريكى بهدم عقود وأعمدة البلاطات الخمسة الممتدة طولا من مصلى سان فرناندو المعروف بمصلى فيلافسيوسا حتى الجدار الغربى للجامع بعرض ثلاثة اساكيب, واسس مكانها جدارين عرضيين بغرض تكوين مجاز

---

[1] الفن المدجن،وهوالفن الذى ظل يمارسه الاسبان فى العمارة والزخرفة بعد خروج المسلمين من الاندلس .وهىالزخارف الناتجة من تمازج ثقافات الفن الإسلامى والمسيحى واليهودى .وكلمة مدجن تشير إلى المسلمين تحت حكم الملوك النصارى.

[2] في بداية هذه الفترة المبكرة من البناء ، قام العمال المدجنين بصيانة الهيكل. كان بعضهم تحت رواتب من الكنيسة ، بينما عمل آخرون لدفع "ضريبة العمل" على الحرفيين المسلمين، مما تطلب منهم العمل يومين في السنة في الكاتدرائية. حدد التاج هذه الضريبة وتم تطبيقها فقط في مدينة قرطبة. ربما تم إنشاؤه للاستفادة من خبراء مدجن ، وخاصة إصلاح مثل هذا المبنى الضخم. في ذلك الوقت

جيهان فاروق وخلود هشام،القيم الجمالية للزخارف المدجنة وتمازج الثقافات بكاتدرائية مسجد قرطبة،جمعية أمسيا مصر(التربية عن طريق الفن)،يناير2016،ص288،294

Torres Balbas,Ars Hispaniae,t,IV,p.268

يغطيه سقف خشبى على شكل هرمى يقوم على عقود قوطية وفقا للأسلوب الشائع فى هذا العصر.[1]

كابيلا مايور

فى سنة929هـ/ 1523م شرع الاسقف دون ألونسو مانريكى فى هدم جزء كبير من زيادتى عبد الرحمن الاوسط والمنصور لإقامة كاتدرائية قوطية الطراز فى قلب الجامع شوهت البناء القديم, وقضت على الوحدة المعمارية للمسجد. وأول كنيسة رئيسية في الكاتدرائية (كابيلا مايور)[2] (لوحة رقم 16)

وأشرف على بناء هذه الكاتدرائية المهندس المعمارى هرنان رويث إلى ان توفى عام954ه/ 1547م فخلفه فى بناء الكاتدرائية ابنه هرنان رويث حتى وفاته عام991هـ/1583م.

ولم يتم بناء الكاتدرائية الا عام1007هـ/ 1599م على يدى هرنان رويث الحفيد. أدخل المهندسين عناصر قوطية في التصميم يمكن رؤيتها في التصميم الزخرفي المتقن للأقبية الحجرية فوق أذرع الجناح وفوق المذبح . ثم أقيمت على جدران الجامع من الداخل مصليات عديدة ذات طابع يتبع طراز عصر النهضة. مثل مصلى لوس سيما ومصلى سان بابلو. وفى عام1093هـ /

[1] Torres Balbas, La Mezquita de Cordoba y Madinat al-zahra P105 Castejon,Gula de Cordoba p39

[2] Ewert, Christian ,"La mezquita de Córdoba: santuario modelo del Occidente islámico". In Guzmán, López (ed.). La arquitectura islámica del Islam Occidental. Madrid: Lunwerg Editores.,1995, pp. 55–68.

1682م أقام الاسقف فراى ألونسو دى المصلى المعروف بلا كونثيثيون ,وفى عام1117ه/ 1705م أقيم مصلى آخر يعرف بسانتا تريزا .[1]

ولكن المجلس البلدى بقرطبة وأهالى المدينة اعترضوا على تنفيذ بناء هذه الكاتدرائية الذى يقضى على وحدة اثر من أروع آثار العالم, ومن جملة ما ذكره المجلس البلدى من اسباب معارضته لهذا المشروع أن المعبد المذكور كما هو ببنيته "فريد فى العالم, وأن البناء المزعم هدمه من نوع لا يمكن قط بناء أثر يضاهيه فى عظمته ودقته الاصليتين"[2]

وهدد المجلس بمحاكمة من يتجرأ على هدم البناء ما دام الملك لم يقرر ذلك.ولكن شارلكان لم ينتصر لموقف المجلس البلدى، وامر بتنفيذ المشروع وبدأت الأعمال فى 8 ذي القعدة929ه/ 7 سبتمبر سنة1523م.

وعندما شاهد شارلكان الجامع قرطبة لاول مرة فى العام التالى ورأى أعمال الهدم في داخله, اعرب عن أسفه لتشوه الجامع و ندم على موافقته على اعمال الهدم. وقال "لو كنت اعلم ما هو عليه هذا الاثر من روعة لما كنت قد سمحت بأن يهدم, لانكم تبنون ما هو فى كل مكان، وهدمتم بناء فريدا فى العالم"[3]والغريب فى ذلك ان الامبراطور شارلكان نفسه ،هو الذى أمر بإزالة جزء كبير من قصر الحمراء فى غرناطة ، ليبني عليه قصره الرومانى ،إلى

[1] السيد عبد العزيز سالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس, ص 398–399

[2] Torres Balbas, La Mezquita de Cordoba y Madinat al-zahra P106 Castejon,Gula de Cordoba p40

كرزويل,العمارة الإسلامية الأولى,ص289

[3] السيد عبد العزيز سالم, قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس,جـ1, ص352–353

جانب قصر الملوك المسلمين، وهو الذى امر بإزالة مسجد الحمراء ليبنى مكانه كنيسة سانتا ماريا.[1]

وفى سنة1001هـ/ 1593م،أزيلت منارة الجامع القديمة، واقيم فوق أنقاضها برج الاجراس الحالى، على نمط يشبه المنارة، وقد جاء أعلى منها، وارتفاعه 54 متراً وهو أطول مبنى في المدينة. وفى داخله سلم حجرى سميك. وفى جنباته غرف وخادع تسكنها بعض الأسر الفقيرة. وقد أقيم فوقه تمثال للقديس رافائيل حامى المدينة. تمت إضافته عام1074هـ/ 1664 م من قبل المهندس المعماري جاسبار دي لا بينيا ، الذي تم تعيينه لإجراء إصلاحات أخرى وإصلاح المشاكل الهيكلية. قام بالنحت بيدرو دي لاباز وبرنابي جوميز ديل ريو. بجوار قاعدة البرج توجد بوابة (باب الغفران) [2]

فى القرن الثانى عشر الهجرى/الثامن عشر الميلادى انتزعت أسقف الجامع الخشبية،بعد ان تآكلت بفعل الزمن، واقيم بدلا عنها قبوات جصية فى جميع بلاطات الجامع.فقد عدلت أسقفه على الطراز الكنسى، وأزيليت القباب القديمة ما عدا القبة الرئيسية الوسطى،وهى التي تظلل الهيكل الرئيسى الذى أنشئ في وسط المسجد،وحلت محل القباب سقوف مضلعة، تزينها من الداخل نقوش نصرانية، وأنشئت على طول جوانب الجامع الأربعة من الداخل،هياكل لا نهاية لها ،ونصبت فوقها الصلبان، وتماثيل القديسين وصورهم، وجعل من كل عقد او اثنين هيكل قائم بذاته.[3](شكل رقم 4،3)

[1] محمد عبد الله عنان، الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال،ص26

[2] محمد عبد الله عنان، الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال،ص28

[3] محمد عبد الله عنان، الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال،ص24

وقد حمل العلماء الأثريون جميعاً، وفى مقدمتهم العلماء الإسبان على هذا التشويه، لأثر من اجل الآثار الإسلامية، ووصفه العلامة كونتريراس بانه تدنيس للفن.[1]

وبمزيد من الأسى يستهل المستشرق والعلامة الأثرى الإسبانى امادوردى لوس ريوس، كلامه عن تاريخ المسجد الجامع ،وهى فى الواقع أبلغ رثاء لهذا الأثر الإسلامى العظيم:" إنه لا الأوضاع النصرانية الفخمة التى تقوم اليوم، فى وسط هذه العمد التى لا تحصى،ولا ذخائر الفن التى أغدقه عليها أكابر الفنانين الذين اقاموها فى القرن السادس عشر ،ولا تلك السلسلة التى لا نهاية لها من المصليات التى ترجع إلى كل عصر، والتى حشرت بجدران المسجد وشوهتها، ولا الصور التى تغطى عقوده فى الجزء المخصص للمحراب، ولا أولئك الملائكة الثقال الذين كأنهم يؤخرون طيرانهم لكى ينيروا العبادات ذات البناء المحدث ،يمكن أنتبدد أو تمحو ذرة من جلال هذه الأشباح المتجولة، التى تبحث عبثاً فى زاوية المحراب عن ذلك الكتاب المقدس، الذى غمست صحفه، حسبما تقول الرواية المتوارثة، بدم عثمان الزكى شهيد الإيمان. إن ثمة عالماً من الذكريات يملأ مخيلة السائح، حينما يسرح البصر بشعور من الأسى خلال هذه التشويهات :تلك الاعمال التى أملاها إيمان أجدادنا المغرق المخلص معاً. فدفعتهم الرغبة، فى أن يمحوا إلى الأبد، من البقعة التى خصصت لكتاب عيسى، روح محمد، وأشباح أوليائه الذين يغشونها، والذين سوف يغشونها دائما ما بقيت فى الوجود .ذلك أنه بالرغم من كل التشويهات التى عملت،

[1] Conteras,ibid,p,68 R.

وكل التغيرات التى أحدثت بها، فإنه قد ختم عليها، وفقاً لقانون مختوم، بخاتم الفن الذى أوحى بها، وروح الأمة التى وضعت خطتها وأقامتها"[1]

وقد زار المسجد الجامع فى قرطبة فى أواخر القرن السابع عشر اسبانيا بعد تحوله إلى كنيسة (1102هـ/1691م) الوزير المغربى محمد بن عبد الوهاب الغسانى وزير مولاى اسماعيل سلطان المغرب وسفيره إلى كارلوس الثانى ملك ووصفه "هو مسجد كبير جدا فى غاية الإتقان وحسن البناء، وبداخله ألف وثلاث مائة وستون سارية، كلها من الرخام الأبيض ، بين كل سارية قوس فوق قوس آخر، وله من الأبواب الآن أربعة عشر باباً، وقد سد كثير من الابواب وغيرها. ومحرابه الإسلامى باق على حاله لم يتغير ولم يحدث فيه شىء الا انهم جعل عليه شباكا من نحاس، وطرحوا أمامه صليبا، فلم يدخل عليه أحد الا قيم ذلك الصليب، ولم يزد بداخله ولا بحائطه شىء قليل ولا كثير. ولهذا المسجد صحن كبير جداً مشتمل على خصة ماء فى وسطه ،ويدور بها فى سائر الصحن من أشجار النارنج مائة وسبعة عشر شجرة، ويقابل موضع المحراب من الصحن منار المسجد، وهو منار كبير مبنى بالحجارة، الا انه ليس بغاية الارتفاع كمنار طليطلة وإشبيلية. ومازال سقف المسجد وأبوابه باقية على حالها لم يحدث فيها شىء، إلا ما تدعو الضرورة إليه من إصلاح السقف، الذى يتداعى إلى السقوط وشبه ذلك. وقد أحدث النصارى بوسط هذا المسجد مقابلا لمحرابه قبة كبيرة مربعة، مشبكة بشبابيك من نحاس أصفر، جعلوا داخل هذه القبة صليباً من صلبانهم وكتب صلواتهم التى يحضرونها مع الموسيقى وشبهها. وأبواب هذا المسجد باقية على حالها

[1] D.Rodrigo Amador de los Rios; Inscripciones de Cordoba p.8
محمد عبد عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والرتغال،ص29

من البناء الأول والنقش بالكتابة العربية، وهذا المسجد هو أكبر مساجد الدنيا وأعظمها صيتاً"[1]

ويتحدث جوستاف لوبون عن روعة المسجد ، مسجلا الخلل الذى لحق به على يد الاسبان، اخذا عليهم هذا التعصب الأعمى والمشوب بالجهل إذ يقول:

"ولا يزال جامع قرطبة من المبانى المهمة ،مع ما احداثه الأسبان فيه من التلف والفساد ,ومع تلك الكنيسة التى أقاموها فيه لتطهيره, ومما صنعه الاسبان ان كلسوا زخارف جداره وكتاباته ، ونزعوا من فسيفساء أرضه, وباعوا تحف سقفه الخشبية المحفورة المزوقة، فيجب على من يرغب فى تمثل ما كان عليه جامع قرطبة أن ينظر إلى محرابه الذى تفلت وحده من التخريب.

ويقوم سقف جامع قرطبة على أعمدة ،ويتكون من اجتمعا هذه الاعمدة صفوق من الصحون المتوازية المؤدية إلى باحته، وتتقاطع الصحون وصحون اخرى كتقاطع الاضلاع الذى ينشا عنه زوايا قائمة ،وتتألف من مجموع تلك الأعمدة غابة من الرخام واليصب والجرانيت، وتعلو تلك الاعمدة أقواس رائعة منضدة، مصنوعة على شكل نعل الفرس.

ولا يؤدى ارتفاع سقف جامع قرطبة الذى لا يزيد على عشرة امتار،إلى ما نراه فى الكاتدرائيات القديمة التى اقيمت على الطراز القوطى فى القرون

[1] محمد بن عبد الوهاب الغسانى، رحلة الوزير في افتكاك الأسير,المنشورة بعناية معهد فرانكو بتطوان،ص18،19

الوسطى ، ككاتدرائية ستراسبورغ ،أينما ينشأ عن تنضد أقواسه وتنوع زخارفه منظر مبتكر بديع، قلما تجد مثله فى مبانى اخرى.[1]

واما محراب جامع قرطبة فاننا من غير ان نجارى(جيرول دى برانجه) فى قوله "إنك لا ترى احسن من زخرفه وثنائه فى اى اثر قديم او حديث–نعترف بانه من اجمل ما تقع عليه عين بشر.وجامع قرطبة اقيم ايام كان الفن العربى فى فجره، ثم تدرج الفن العربى إلى الكمال"[2]

فى الوقت الحاضر

مسجد قرطبة الكبير كاتدرائية كاثوليكية

Mosque–Cathedral of Córdoba

أصبح مسجد قرطبة الكبير كاتدرائية كاثوليكية تسمى كاتدارئية سيدة الإنتقال وتعرف من قبل سكان قرطبة بإسم كاتدرائية مسكيتا وكلمة مسكيتا تعني مسجد باللغة الأسبانية .وهذه الكاتدرائية هي مقر مطران أبرشية قرطبة وهي مدرجة في قائمة مواقع التراث العالمي ،كما تصدرت في عام1428ه/ 2007م قائمة كنوز أسبانيا الإثنى عشر ومحط الجذب الرئيسي للمدينة

[1] بعد بناء الكنيسة في وسط الجامع أصبح يسوده الظلام فقليل من الضوء ينفذ إلى بضعة أركان ونواح مفرقة. والسبب في ذلك هو أن معظم القباب القديمة قد أزيلت وبنيت مكانها أسقف مستوية، وبنى ما بين كثير من الأعمدة ،ويكاد ينعدم الضوء حول الهيكل الكبير القائم في وسط الجامع.تحت القبة الرئيسية وبين القباب الأربع التى تحيط بها
محمد عبد عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والرتغال،ص24

[2] جوستاف لوبون، حضارة العرب,ص353،354

المدرجة منذ عام1404ه/ 1984م على لائحة التراث العالمي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) .[1]

محاولات لإعادة الصلاة في مسجد قرطبة

كان هناك الكثير من محاولات لعودة صلاة المسلمين فى مسجد قرطبة و لكن رفضت الكنيسة الكاثوليكية أن تقام فيه اي صلوات إلا للنصارى .

إلى سمحت السلطات الاسبانيا للمسلمين أن يقيموا شعائر صلاة الجمعة بمسجد قرطبة يوم الثالث عشر من سبتمبر سنة1393ه/ 1973م عقب المؤتمر الاسلامى المسيحى الذى عقد بقرطبة وعندما أذيع هذا الاتفاق توافد على قرطبة عدد من الطائرات من المغرب تحمل مجموعة من المسلمين الذين وفدوا لأداء الصلاة في مسجد قرطبة من جديد بعد ان توقفت به الصلاة حوالى ثمانية قرون.[2]

---

[1] **https://whc.unesco.org/en/list/313**
Historic Centre of Cordoba

[2] احمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى،ج4،ط10،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1995 ،ص144

في السبعينات من القرن الميلادي العشرين عقد رهبان مسجد قرطبة (الكاتدرائية)، برئاسة مطران قرطبة، لقاء دعوا له مسلمين من المغرب والمشرق، وقالوا إنه حوار بين الإسلام والمسيحية، وإنهم نظموه من تلقاء أنفسهم لم يستشيروا فيه مع الفاتيكان وقالوا إنهم يعترفون بأن محمدا رسول الله حقا وصدقا، وإنه صادق أمين، وإنهم يعترفون بأنهم كذبوا عليه، وشوهوا سمعته، ونسبوا إليه ما هو صلى الله عليه وسلم منه برئ، وإنهم فعلوا ذلك بعد أن لاحظوا أنه لم يبق في شمال إفريقيا نصراني واحد، فحتى لا يقع في الأندلس ما وقع في بلدان المغرب فعلوا ما فعلوا. وقالوا إنهم يعترفون أن عندهم في دينهم أشياء غير معقولة تلقوها عن قدماءهم، فهم يؤمنون بها من غير أن يفهموها. كما أن عند المسلمين في دينهم=

عام 1972م طلب المجلس البلدي القرطبي، من منظمة اليونسكو، أن تعتبر مسجد قرطبة الجامع، أثرا إنسانيا، وترجعه إلى أصله كمسجد، مما أثار نقاشا حادا في الصحافة الأسبانية. ففي مقال بجريدة «الأ بي سي» بتاريخ 1972/12/10م، طلب مدير المجمع الملكي الأسباني للعلوم والفنون الجميلة، إعادة المسجد إلى أصله الإسلامي بنقل الكتدرائية المقامة فيه إلى مكان مناسب، وإعادة المسجد لقيمته الدولية، وقدر مصاريف هذا النقل بحوالي عشرة ملايين دولار أمريكي. فاهتم الملك فيصل رحمه الله، ملك المملكة العربية السعودية، بالموضوع، في شهر يوليو سنة1393ه/ 1973م، مبدياً استعداده لتحمل مصاريف النقل.[1] ولكن الأمر كله قبل بالرفض من الكنيسة الكاثوليكية. وقد زار الملك فيصل رحمه الله جامع قرطبة عام1386ه/ 1966م.

وقبله زاره الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله عام1377ه/ 1957م وصلى في محرابه.

=أشياء يعترفون بأنها غير مفهومة. ثم اقترحوا على المسلمين أن يلغوا فكرة الجهاد حتى يمكن للنصارى أن يتعيشوا مع المسلمين. ثم أذنوا للمسلمين بصلاة الجمعة في مسجد قرطبة لأول مرة من استيلاء النصارى عليه ،علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس ,دار الكتب العلمية، بيروت، 2005,ص12

[1] من مقال للدكتور على المنتصر الكتانى عن تأسيس جمعية قرطبة الإسبانية

http://www.darululoom-deoband.com/arabic/articles/tmp/1577162918%2016-Dirasat-6-7_1435_11.htm

عام1394ه/ 1974م زار الرئيس العراقى صدام حسين–كان حينها نائب رئيس مجلس قيادة الثورة–جامع قرطبة ، وامر بالأذان وقتها لصلاة الظهر وقد صلى في المحراب وطاف أرجاء الجامع

عام1397ه/ 1977م طلب المسلمين بالصلاة في مسجد قرطبة الجامع فتم السماح لهم بذلك . و لكن وقفت الكنيسة الكاثوليكية موقفا معاندا ضد عودة المسلمين للصلاة مرة أخرى في المسجد و وضعوا سياجا حديدا فاصلا عند المحراب لعدم الصلاة فيه . وعام1421ه/2000 م قام المسلمون في جميع أنحاء إسبانيا بالضغط على الكنيسة الكاثوليكية للسماح لهم بالصلاة في الجامع، مع تقديم المجلس الإسلامي لإسبانيا طلباً رسمياً مع الفاتيكان. ومع ذلك ، فإن السلطات الكنسية الإسبانية و الفاتيكان عارضوا هذه الخطوة.[1]

تسجيل الكنيسة لمسجد قرطبة

عام 2006م إستغلت الكنيسة الاسبانية ممثلة في أسقفية قرطبة وجود قانون يسمح بتسجيل ملكية المعابد بأثمان رمزية فقامت في صمت بتسجيل جامع قرطبة الشهير في ملكيتها بمبلغ زهيد جدا قدره 30 يورو فقط .[2] (كانت الكنيسة قبل ذلك تشرف على الجامع دينياً وسياحياً)

[1] دي فيرتشايلد روجلز، "طبقات النسيان: كاتدرائية قرطبة العظيمة وإرثها المتنازع عليه، في التراث الثقافي المتنازع عليه، د.هيلين سيلفرمان. نيويورك: سبرينغر،2011، 51–67.

[2] لم تقدم الأبرشية مطلقًا سند ملكية رسمياً ولم تقدم حكماً قضائياً يعاقب على الاغتصاب على أساس احتلال طويل الأمد، مع الحجة القانونية الوحيدة هي "تكريس" المبنى بعد عام 1236

miguel Ajudo Zamora La inmatriculación de la Mezquita-Catedral de Córdoba: tutela del patrimonio y relevancia Constucional" . Estudios de Deusto-2015pp15-45

مما كان سببا في أن وجهت الهيئات المدنية والثقافية والإنسانية فى إسبانيا ــ لليونيسكو و لحكومة الأندلس من أجل إتخاذ الإجراءات اللازمة لوقف محاولة تملك الكنيسة لجامع قرطبة الذي يعتبر تراثا إنسانيا محذرين من انه إذا لم يجر التدخل في الوقت المناسب (قبل عام2016م) لمنع ذلك سيصبح الجامع التاريخي بشكل أبدي في ملكية الكنيسة .

وطالب رئيس جمعية مسلمي قرطبة أن يكون المبنى عاما وبمشاركة الإدارة للإشراف عليه. خاصة أن المسجد هو من ممتلكات أهالي قرطبة وإقليم الأندلس والإنسانية جمعاء أن الناس عندما يأتون إلى قرطبة يأتون لرؤية الجامع وليس الكاتدرائية.

وكانت الحكومة المحلية في إقليم الأندلس، قد أعلنت أنها تدرس المسألة كي يتسنى لها تقديم دعوى ضد تحول المسجد رسميا إلى ممتلكات الكنيسة.[1]وقد ناشد تجمع (مسجد كاتدرائية قرطبة) برلمان إقليم الأندلس، جنوب إسبانيا، التدخل بغية عدم السماح بتحويل ملكية مسجد قرطبة إلى الكنيسة الإسبانية، وعدم تنفيذ قرار صدر مسبقا يقضي بتحويل ملكية المسجد إلى الكنسية بحلول عام 2016م. وناشد التجمع برلمان الأندلس أن يطلب من المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ومن اليونيسكو التدخل، باعتبار أن اليونيسكو كانت قد أعلنت هذا البناء عام 1984م من التراث العالمي الذي يجب المحافظة عليه.[2]وكان ممثل التجمع مانويل سانتياغو قد قدم 365000 توقيع يدعو إلى عدم تغيير

1 **https://ar.qantara.de/content/ktdryy-qrtb-lknys-lmsjd-wltrth-lthqfy-llmy-hl-tnkr-qrtb-lslm**

2 **https://www.bbc.com/arabic/artandculture/2016/04/160401_spain_cordoba_mosque**

ملكية المسجد والاحتفاظ باسمه كما كان سابقا، ومن ضمن الموقعين وفدريكو مايور ثاراغوثا المدير السابق لليونيسكو. وقد وعد رئيس البرلمان المحلي لإقليم الأندلس ، بمناقشة هذا الاقتراح في البرلمان.

وقد قامت بلدية قرطبة بتشكيل لجنة من الخبراء برئاسة فيديريكو مايور الرئيس السابق لليونسكو و المؤرخ أليخاندرو جارثيا سان خوان و المؤرخ خوان باتيستا لإعداد تقرير عما قامت به أسقفية قرطبة التابعة للكنيسة الكاثوليكية بتسجيل مسجد قرطبة الجامع (مساحته حوالي 22.500متر مربع) في سجل العقارات و الأملاك بعقد تمليك و شراء بقيمة ثلاثين يورو فقط لاغير (30 يورو) و ذلك عام 2006م . و المعروف أن حكومة خوسيه ماريا أزنار قامت بتعديل القانون العقاري رقم 206 عام 1998م ،و قد أستغلت الكنيسة الكاثوليكية هذا القانون فقامت في سرية تامة ،و تحت تواطؤ بعض المسؤولين بتسجيل أكثر من 4000 عقار و كنيسة و كاتدرائية بأعتبارها أملاك الأسقفية .و بذلك أنتقلت ملكية المسجد الجامع في قرطبة الى الكنيسة الكاثوليكية و التي أخفت الأمر بالكامل حتى أعلنته بعد عشر سنوات في عام 2016 م. [1]

و قد جاء في صياغة تقرير لجنة الخبراء بأن المسجد الجامع تم تسجيله في قائمة اليونسكو للتراث العالمي منذ عام 1984 م . و إن الكنيسة لا تمتلك أي سند ملكية خاصة بالمسجد في أرشيفها . و إن التسجيل عام 2006م يعتبر غير قانوني و يوصي تقرير لجنة الخبراء بألغاء التسجيل أمام المحكمة

[1]miguel Ajudo Zamora, La inmatriculación de la Mezquita-Catedral de Córdoba: tutela del patrimonio y relevancia Constucional" . Estudios de Deusto-2015 ,p4,17-18

الدستورية العليا في إسبانيا. [1] فحين كان رد المتحدث باسم الأسقفية أن الكنيسة هي المالك الشرعي منذ 1236م، مشيرا إلى تكريسها من قِبل الملك (بمرسوم ديني يجعلها مقدسة) في تلك السنة. وقال "هذا المعبد هو كاتدرائية".

وتتمتع الكنيسة حتى الآن بحق الحصول على الأموال التي يحصل عليها المسجد من دخول السياح عند زيارتهم له، استنادا إلى القانون الذي سنه رئيس الوزراء عام 2006م، ولا يعرف حتى الآن بالضبط كمية الأموال التي تحصل عليها الكنيسة من السياح، ولكنها تقدر بـــنحو 13 مليون يورو سنويا.[2]

وأغلبية الشعب الاسباني ينكرون ما قامت به أسقفية قرطبة . و يطالبون بعودة المسجد الى الملكية العامة و تحت إشراف الدولة الإسبانية .

حذف الكنيسة لكلمة جامع قرطبة من الكتيبات الدعائية

كما قامت الكنيسة بحذف كلمة جامع قرطبة من الكتيبات الدعائية التي توزع علي السياح والزائرين وأبقت فقط على كلمة كاتدرائية قرطبة .[3]

1**https://www.bbc.com/arabic/artandculture/2016/04/160401_spain_cordoba_mosque**

2**https://www.bbc.com/arabic/artandculture/2016/04/160401_spain_cordoba_mosque**

[3]جريدة الأهرام بتاريخ الأثنين 23 من جمادي الاولى 1435 هـــ 24 مارس 2014 السنة 138 العدد 46494

https://gate.ahram.org.eg/daily/News/11132/121/271626/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D9%88-%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9/%D8%A8%D9%80--%D9%8A%D9%88%D8%B1%D9%88-%D8%AA%D8%B4%D8%AA%D8%B1%D9%89-%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9-%D9%82%D8%B1%D8%B7%D8%A8%D8%A9-.aspx

وتدخلت جماعة ضغط الرافضة للتغيير وقال مانويل سانتياغو المتحدث باسم الجماعة "أن الكاتدرائية–الجامع هي المحور الثقافي للمدينة ومعلمها السياحي الرئيسي، وتغيير اسمها يعني الذهاب في اتجاه معاكس للمصالح السياسية لقرطبة، والأخطر ضد جوهرها التاريخي والفني والرمزي. والواقع ان السياح يأتون للجامع لا الكاتدرائية ولا معنى للمعلم دون جامع" وأكد أن الكنيسة تقلل من التحدث عن ماضي المسجد مكتفية بالإشارة إلى التدخل الاسلامي في هندستها المعمارية . ولا يزال المسجد بجلاله وعظمته يطغى على ما في هذه الكنيسة من فن وزخارف.فالزائر لهذا الجامع الكبير سوف يقتنع بمجرد مشاهدته أنه لم يخلد أثر من الآثار الإسلامية في كتب التاريخ كما خلد جامع قرطبة، فقد كتب عنه جميع مؤرخي العرب في المغرب والأندلس، ووصفوه وصفا دقيقا فاق كل وصف. وهو الأثر الوحيد المتبقي من عمارة المساجد في الأندلس، على الرغم من الإضافات الكثيرة التي أدخلت على عمارته في العصور النصرانية .وصف مانويل سانتياغو إلحاق المسجد بالكنيسة الإسبانية بأنه (محاولة لحذف اسم (مسجد) و(الذاكرة الأندلسية) من هذا البناء، وهو جزء أساسي لوجوده ولهوية إقليم الأندلس) و أن المسألة ليست دينية وإنما ثقافية وقضية تراث تاريخي. وجاء الاستيلاء على مسجد كاتدرائية قرطبة مفاجأة لأهالي قرطبة، فبين ليلة وضحاها، اكتشفنا بأن الكنيسة قد استولت على ممتلكات تابعة للجميع.

كما فعلت حكومة إقليمية في جنوب إسبانيا شكوى إلى سلطات الكنيسة الكاثوليكية على خلفية ما تعتقد أنها تحركات للكنيسة في السنوات الأخيرة لمحو الماضي الإسلامي لكاتدرائية – جامع قرطبة القديمة، والتي تعد واحدة

من مناطق الجذب السياحي الرئيسية في البلاد.[1]وقالت إدارة السياحة في منطقة الأندلس إن ممارسات سلطات الكنيسة، التي تملك المجمع، ووصفها له على أنه مجرد "كاتدرائية قرطبة" على موقعها الإلكتروني، وعلى النشرات والتذاكر، يمكن أن يضر السياحة ويصيب بالحيرة أكثر من مليون سائح، يزورون سنويا المسجد. كما هو معروف للعامة.[2]

إعادة صفة المسجد الى كاتدرائية قرطبة في اسبانيا

فى عام 2016 م وافقت السلطات الكنسية الكاثوليكية في مدينة قرطبة بالاندلس في اسبانيا على اغادة الإشارة للصفة الإسلامية لمسجد قرطبة الكبير والذي كان يشار له على انه "كاتدرائية قرطبة" فقط.وكان المحتجون يطالبون بهذا التغيير بقرار السلطات الكنسية، فالسياسة التي كانت تنتهجها الكنيسة بالامتناع عن ذكر الاشارة الى المسجد في النشرات والتذاكر في السنوات الاخيرة كانت محاولة لطمس تاريخ المبنى الاسلامي علاوة على انها كانت تسبب الحيرة عند السائحين .وصرحت الجمعية الكنسية (التي تدير المبنى) بأنه، وبعد الدراسة ولصالح السياحة، تقرر تسميته بـ"مجمع الكاتدرائية والمسجد التذكاري".[3] وكان للمجتمع المدنى دور كبير فى ذلك منهم مجموعة

[1]**https://ar.qantara.de/content/ktdryy-qrtb-lknys-lmsjd-wltrth-lthqfy-llmy-hl-tnkr-qrtb-lslm656**

2**https://www.bbc.com/arabic/artandculture/2016/04/160401_spain_cordoba_mosque**

3**https://www.bbc.com/arabic/artandculture/2016/04/160401_spain_cordoba_mosque**

بتاريخ 1 أبريل/ نيسان 2016

احتجاج تسمى "المسجد– الكاتدرائية إرث الجميـــع"، والتـــي كانـــت تطالـــب بهذا التغيير ورحبت ، بقرار الكنيسة.[1]

1https://arabic.rt.com/news/817407-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AB%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AC%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D9%82%D8%B1%D8%B7%D8%A8%D8%A9/ تاريخ النشر:01.04.2016

الخاتمة

جامع قرطبة أشهر معالم التراث الإسلامى فى أوروبا ،يعد من أعظم المعالم الإسلامية بأ وروبا بل وفي العالم أجمع . أروع أمثلة العمارة الإسلامية في العصر الوسيط، بفضل ما تضمنه من ابتكارات معمارية وثروات زخرفية،حيث مثل مسجد قرطبة الجامع نقاء الإرث الثقافي المعماري العربي والإسلامي. بعد سقوط قرطبة تم تحويله إلى كاتدرائية وفى سنة929هـ/ 1523م تم هدم جزء كبير منه لإقامة كاتدرائية قوطية الطراز فى قلب الجامع شوهت البناء القديم،وقضت على الوحدة المعمارية للمسجد. وعلى الرغم من الإضافات المسيحية الكثيرة التي أدخلت على عمارته بعد سقوط قرطبة.إلا ان الطابع الإسلامي ظل بارزا في المبنى رغم محاولات طمسه على مدى قرون. فالزائر لمسجد قرطبة اليوم يأتى لرؤية الجامع وليس الكاتدرائية

حاليا، يُنظر إلى مسجد قرطبة الكبير من جانب كل من الحكومة الإسبانية والفاتيكان على أنه كنيسة كاثوليكية مسجلة وتابعة لأملاك الكنسية الإسبانية وللفاتيكان،لكن أغلبية الشعب الاسباني (مسلمين ومسحيين)يستنكرون ما قامت به اسقفية قرطبة عام 2006م من تسجيل المسجد فى ملكيتها الخاصة ويطالبون بعودة مسجد قرطبة إلى الملكية العامة و تحت إشراف الدولة الإسبانية. ويحمل حاليا اسم (مسجد – الكاتـــــدرائية)وهذه الكاتدرائية هي الوحيدة من نوعها في العالم التي تحمل اسم المسجد.

وكل العائد من تذاكرالزائرين لمسجد قرطبة ،(والذى يقدر بـــنحو 13 مليون يورو سنويا)يدخل خزينة أسقفية قرطبة بعد تسجيل المسجد فى ملكيتها الخاصة .

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

المصادر

-ابن حيان(أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد)،المقتبس من أنباء أهل الأندلس،تحقيق د صلاح الدين الهوارى،المكتبة العصرية،بيروت،الطبعة الأولى ،2006م

-ابن حيان ،المقتبس من تاريخ رجال الاندلس تحقيق ملشورم،انطونية،باريس،1937م

-ابن عذارى المراكشى(أبوالعباس أحمد بن محمد)،البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب،

الاجزاء الاول والثانى،تحقيق(كولان وليفى بروفنسال)،باريس ،1948م

الثالث،تحقيق (ليفى بروفنسال)،باريس(1929م)

الرابع،جمع وتعليق(د.إحسان عباس)،بيروت(1967م)

-الحميرى ،صفة الجزيرة الأندلس،دار الجيل،بيروت، الطبعةالأولى.د.ت

-الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماءالاندلس،حققه وعلق عليه بشار عواد ومحمد بشار عواد،دار الغرب الاسلامى،تونس،الطبعة الاولى،2008م

-الإدريسى(محمد بن محمد بن عبدالله),نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق,عالم الكتب,بيروت,1989م.

- المقرى(شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى),نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ,تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد,القاهرة,1949م.

المراجع العربية

-السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى،الإسكندرية

-السيد عبد العزيز سالم, قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس, جـــ1, مؤسسة شباب الحامعة,الإسكندرية,مصر,جـــ1 ,1997

- حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس,ط7,دار الرشاد,القاهرة,2005

- محمد عبده حتاملة, الأندلس, التاريخ والحضارة والمحنة,ط1,مطابع الدستور التجارية,2000

- محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين فى الأندلس, دار النفائس للطباعة والنشر, بيروت, الطبعة الثانية,2008م.

محمد عبد الله عنان, دولة الإسلام فى الأندلس,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة,2001م.

مراجع أجنبية معربة

-باسيليو بابون مالدونادو, عمارة المساجد فى الأندلس, قرطبة ومساجدها, ترجمة على إبراهيم المنوفى,هيئة أبوظبى للثقافة والتراث,2011

-مايكل هاميلتون مورجان، تاريخ ضائع التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه، ترجمة أميرة نبيه بدوى، الطبعة2،نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة ,2008

-غوستاف لوبون،حضارة العرب،ترجمة عادل زعيتر،ط 1، دار العالم العربى، القاهرة،2009

- ول وايريل ديورانت, قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران12المجلد الرابع-ج1,عصر الإيمان،دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع،بيروت, جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم,تونس

الدوريات العلمية

الحميد،التطورالعلمى فى الاندلس زمن الخليفة الحكم المستنصر 366-350هـ/967-961م، مجلة كلية الآداب،جامعة اسيوط،أكتوبر2020م

-تركى محمد نصر،مسجد قرطبة الجامع في الأندلس(إسبانيا)،مجلة الوعى الإسلامي،الكويت،العدد537،مايو 2010م

-سميرة مالكى، دور التراث العمرانى والسياحة الثقافية فى التنمية الاقتصادية(الاثار الإسلامية الأندلسية فى اسبانيا،مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية،عدد خاص، ابريل 2021م

-كريم عقيل حسين، مسجد قرطبة الجامع دراسة في تاريخ بنائه (92-633هـ/711-1236م) مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانية، العدد 3، 2009م

-كمال عنانى إسماعيل،اصداء جامع قرطبة على عمارة مصر الإسلامية،اعمال المؤتمر السادس عشر للاتحاد العام للآثاريين العرب،دراسات فى آثار الوطن العربى، 2013م

-ميمون الموساوى،من تجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة،المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية،العدد العاشر،الاردن،2019م

-رواية عبد الحميد شافع، مصادر المقرى التلمسانى فى التأريخ للمسجد الأموى بقرطبة (كتاب نفح الطيب أنموذجا)،مجلة العمارة والفنون الإنسانية،عدد خاص،المؤتمرالدولى السابع"التراث والسياحة والفنون بين الواقع والمأمول"،أبريل 2021م

-وليد عاكف،القباب الأندلسية:أنواعها وأصولها ومميزاتها(92-897هـ/711-1492م)حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية،الحولية الأربعون2020م

-وفاء صارم،تطور سياسة العمران فى الأندلس والعوامل المساهمة فى تطورها(422-138هـ/755-1031م)،مجلة جامعة تشرين ،سلسة الآداب والعلوم الإنسانية،المجلد 36،العدد6، 2014م

الرسائل العلمية

-حسين على جبر الساعدى، تعامل المسلمين مع المعالم الأثرية اثناء الفتوحات الإسلامية حتى عام 132هـ،رسالة ماجستير،قسم تاريخ الحضارة الإسلامية،جامعة مصطفى العالمية،2011م

-مجدى خليل محمد البردويل، الإبداع الحضارى للمسلمين في الأندلس في عهدى الإمارة والخلافة،رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، الجامعة الإسلامية،غزة، 2014م

المراجع الاجنبية

Amador de los Reos y Villato, Inscripciones Arabes de Cordoba,La MezquitaAljama,Madrid 1879-1880

- Dodds, J. D., “La Grand Mezquita de Córdoba”, Al-Andalus: las artes islámicas en España, Madrid, 1992

Ewert, C., “La mezquita de Córdoba: santuario modelo del Occidente islámico”, La arquitectura islámica del Islam Occidental, Madrid, 1995

-Gómez Moreno, M., El arte árabe español hasta los almohades. Arte mozárabe, Ars Hispaniae, III, Madrid, 1951

-Richard Fletcher, The Early Middle Ages, 700–1250, in Spain (New York: Oxford University Press, 2000.

-Viadrot,Louis. Histoire des Arabes et des Mores d Espagne.paris 1833.

مواقع الكترونية

–موقع منظمة الامم المتحدة للعلوم والثقافة(اليونسكو)

https://ar.unesco.org

–موقع كاتدرائية مسجد قرطبة الرسمى

https://mezquita-catedraldecordoba.es/en
https://ar.qantara.de/content/ktdryy-qrtb-lknys-lmsjd-wltrth-lthqfy-llmy-hl-tnkr-qrtb-lslm
https://whc.unesco.org/en/list/313
https://www.bbc.com/arabic
https://www.bbc.com/arabic/topics/c719d2el19nt
https://arabic.euronews.com/tag/spain
https://espanaenarabe.com

الاشكال و اللوحات

-

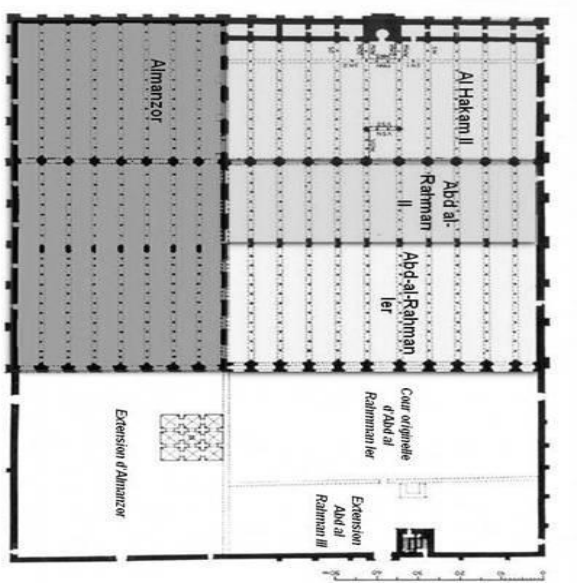

شكل1

مخطط جامع قرطبة بعد الزيادادت المتعددة التى أدخلت عليه قبل تحويله لكنيسة سنة1236م.

https://civilizationlovers.wordpress.com/

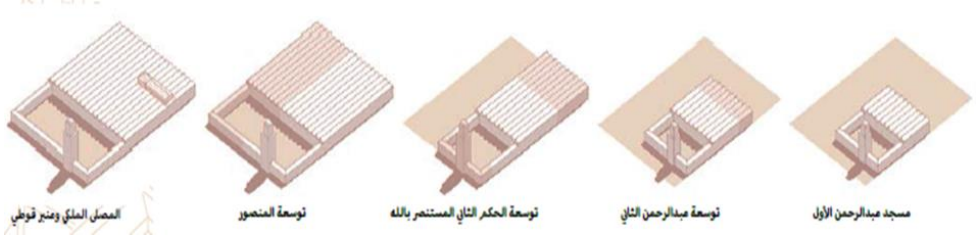

شكل2

زيادات مسجد قرطبة الجامع

شكل 3

مخطط لمسجد قرطبة الجامع بعد أن حوله الاسبان إلى كنيسة

وتظهر الكاتدرائية فى قلب الجامع

https://www.arrabita.ma/blog/category/dirasatwabh/at/dirasatmohakama

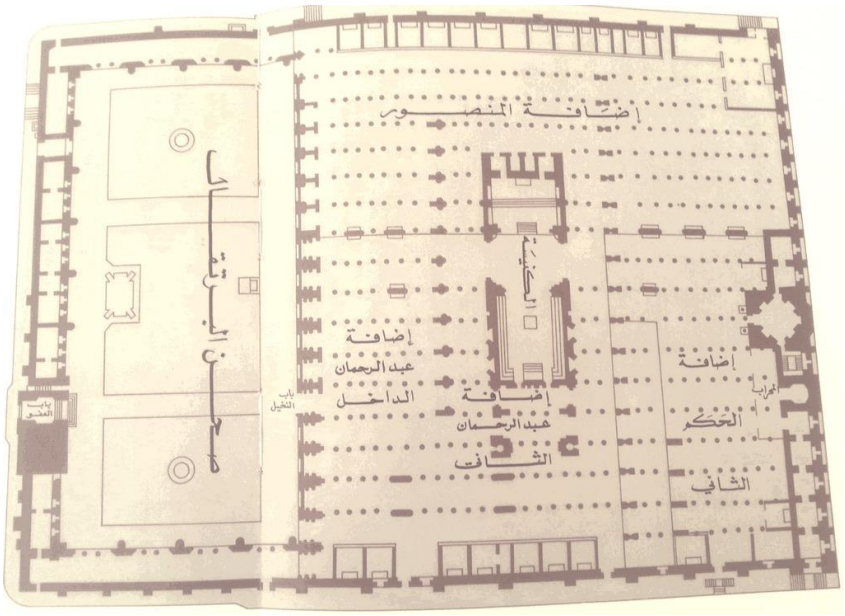

شكل 4

مسقط أفقى لجامع قرطبة

ميمون الموساوى،من تجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة،ص13

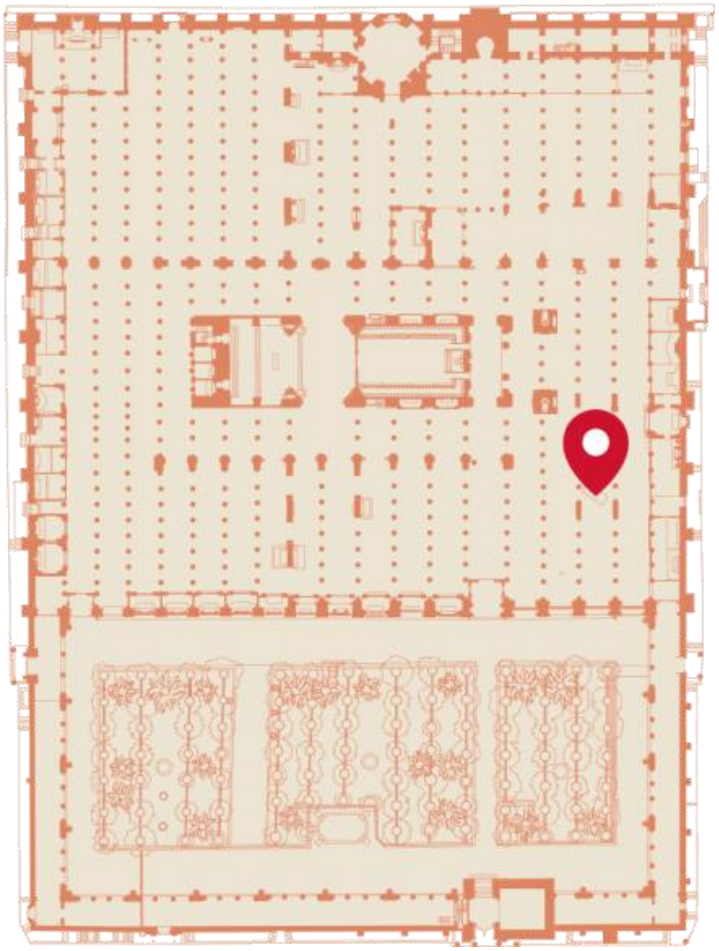

شكل 5

مخطط لجامع قرطبة محدد عليه

موقع الكنيسة القديمة (شنت بنجنت) من المسجد

- https://mezquita-catedraldecordoba.es/site/assets/files/1203/1-san-vicente.440x0.png

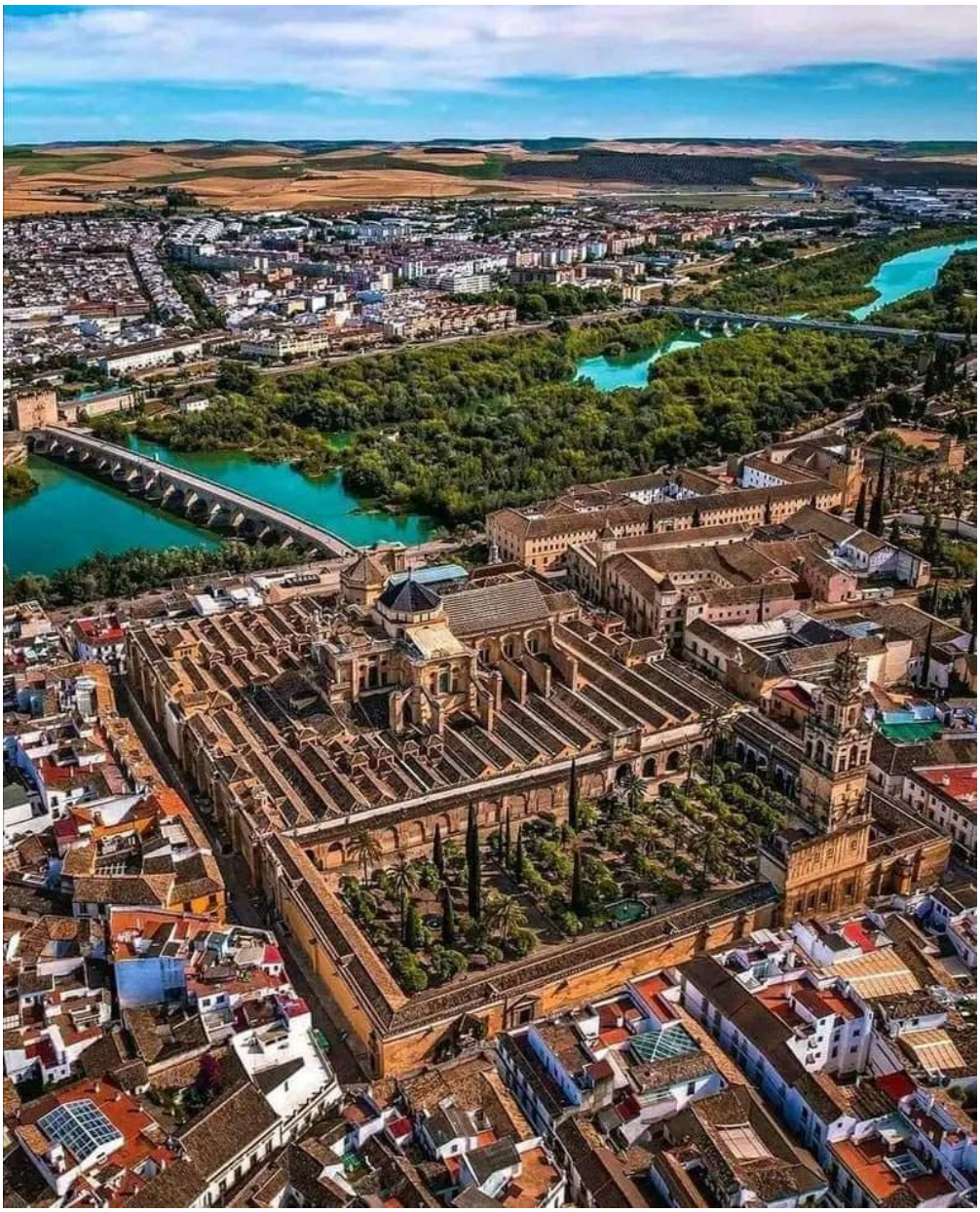

لوحة رقم1

منظر عام لمدينة قرطبة ومسجدها الجامع

لوحة 2

مسجد قرطبة من الداخل

http://whc.unesco.org/en/list/313/gallery

لوحة رقم3

الاعمدة والعقود المزدوجة من القسم الأصلي من مبنى المسجد

https://mezquita-catedraldecordoba.es/

لوحة رقم 4

إضافة عبد الرحمن الثانى بمسجد قرطبة

لوحة رقم 5

إضافة عبد الرحمن الثالث بمسجد قرطبة

لوحة 6

إضافة المنصورابن ابى عامر بمسجد قرطبة

لوحة رقم 7

نموذج لمئذنة عبد الرحمن الثالث

الصورة من داخل مسجد قرطبة بمساعدة احد الزملاء

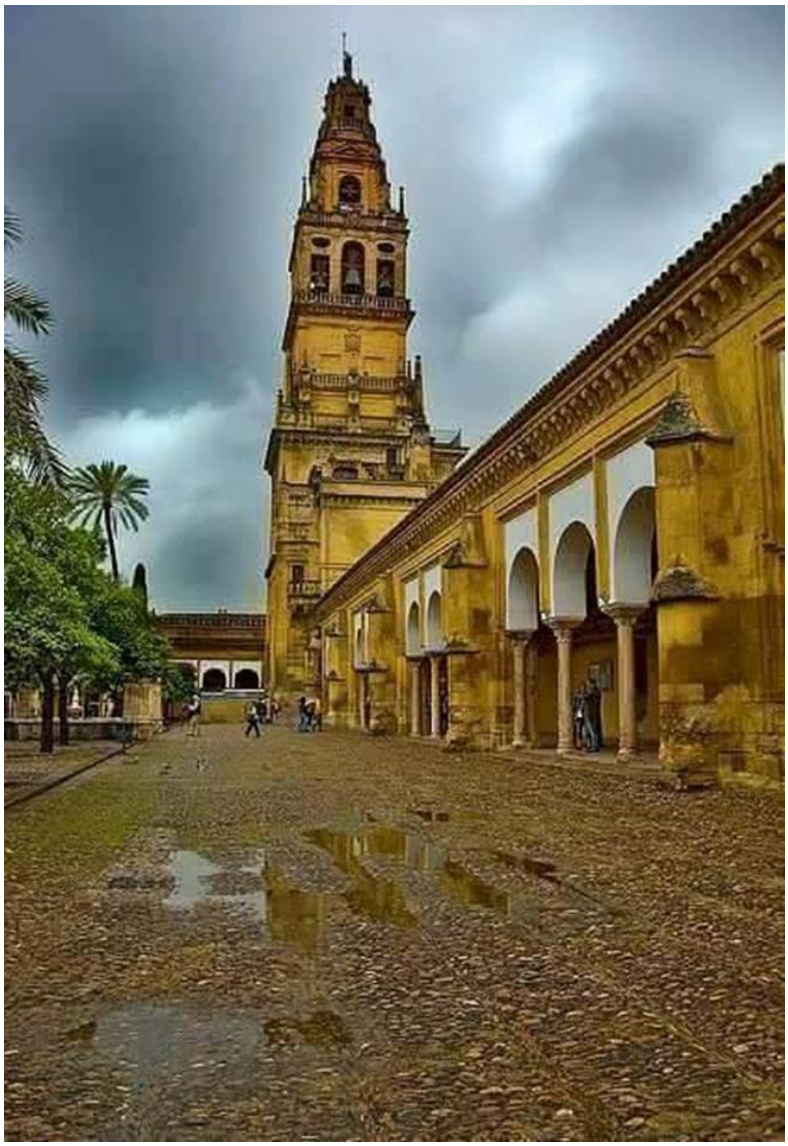

لوحة رقم8

برج حامل اجراس الكاتدرائية

مئذنة مسجد قرطبة سابقا

لوحة 9

القبة والعقود امام المحراب

https://andalushistory.com

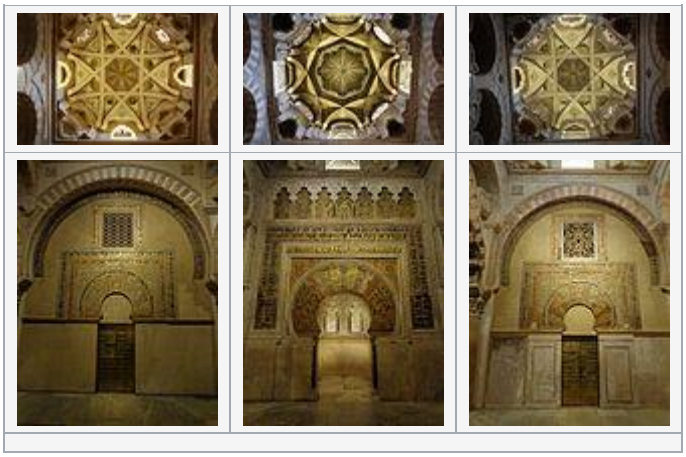

لوحة رقم 10

لوحة مجمعة لقباب المقصورة و المحراب والابواب الجانبية ، التي بنيت خلال توسعة الحكم الثانى

لوحة رقم 11

الفسيفساء لرومانية تحت أرضية المسجد

https://mezquita-catedraldecordoba.es/

لوحة 12

القبة التى تتقدم المحراب

https://ar.qantara.de/content/ktdryy-qrtb-lknys-lmsjd-wltrth-lthqfy-llmy-hl-tnkr-qrtb-lslm

1

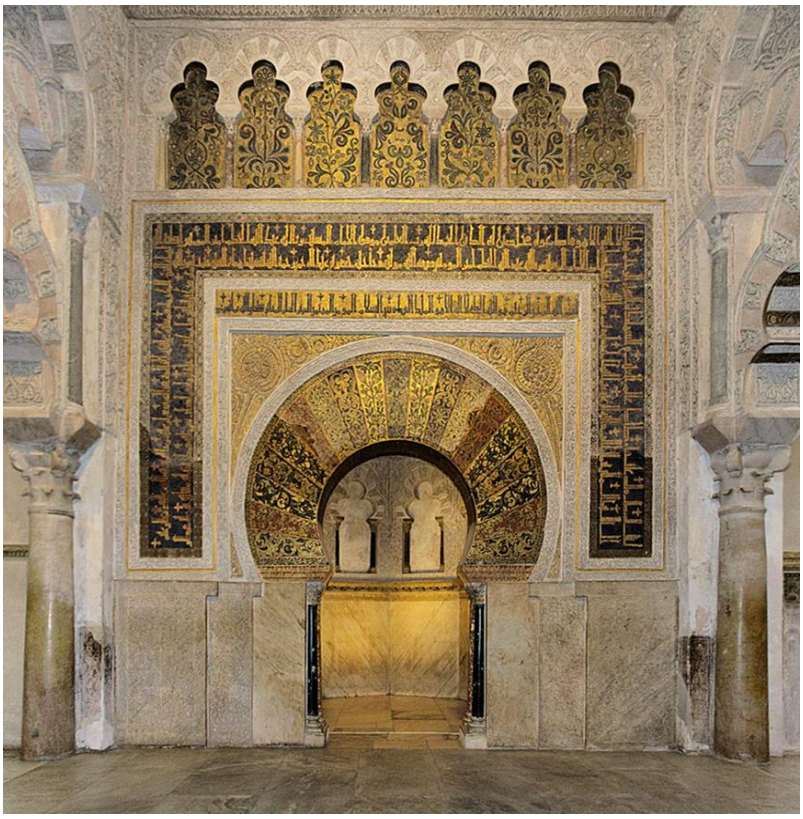

لوحة رقم13

محراب مسجد قرطبة

وعلى هيئة حنية عميقة مثمنة الشكل

https://www.spain.info/gcc/ar/images/mezquita-cordoba-00001

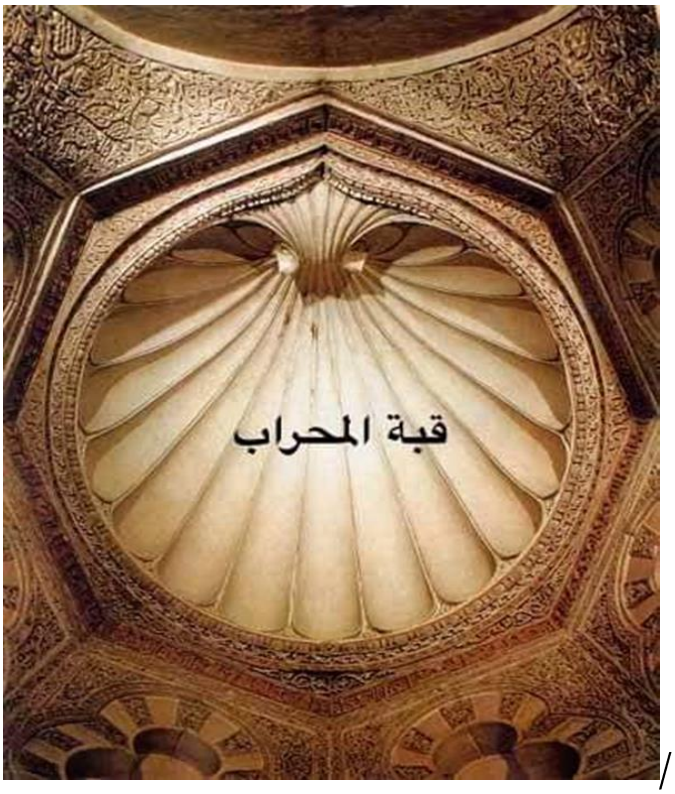

لوحة رقم14

قبة حنية المحراب محراب بجامع قرطبة

على شكل محارة يسميها الحميرى (خصة)

لوحة رقم15

فسيفساء وزخارف قبة المحراب

https://www.spain.info/gcc/ar/images/mezquita-cordoba-/00001

لوحة رقم16

كاتدرائية جامع قرطبة

مذبح Capilla Mayor.

https://mezquita-catedraldecordoba.es/

لوحة رقم17

الجوقة بكاتدرائية مسجد قرطبة

Capilla Real

https://mezquita-catedraldecordoba.es/

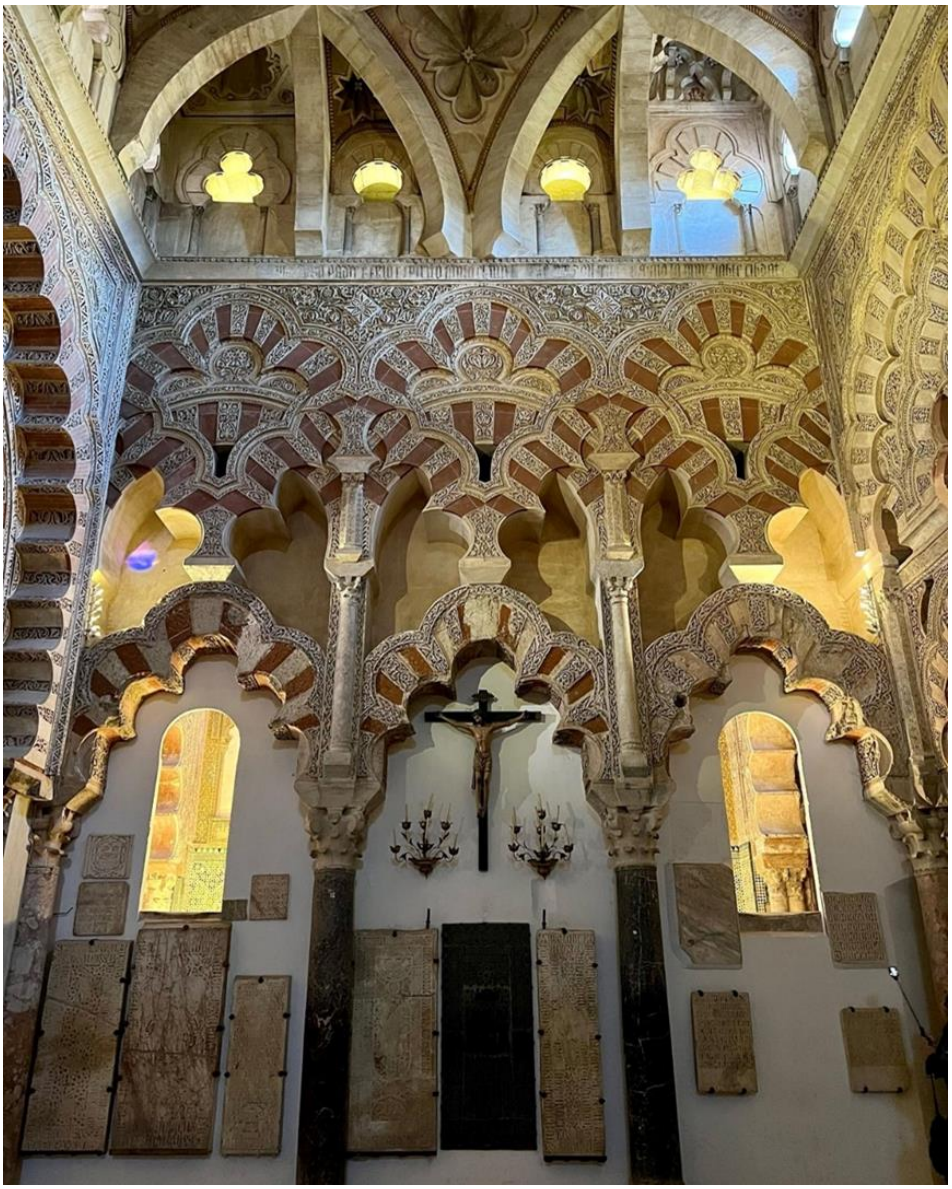

لوحة رقم18

مصلى فيلافسيوسا

https://mezquita-catedraldecordoba.es/

لوحة رقم19

اقامة الشعائر المسيحية داخل مسجد –كاتدرائية قرطبة

https://espanaenarabe.com

لوحة رقم20

تذكرة دخول زائر لمسجد–كائدرائية قرطبة عام 2021

علما بإن العائد يدخل خزينة أسقفية قرطبة بعد تسجيل المسجد فى ملكيتها الخاصة

الحجز من موقع الكاتدرائية

https://mezquita-catedraldecordoba.es